البُرْهَان

فِي جَوَاز الذكر
بلفظَ "هُوَ" للمَلك الدّيان

تأليف

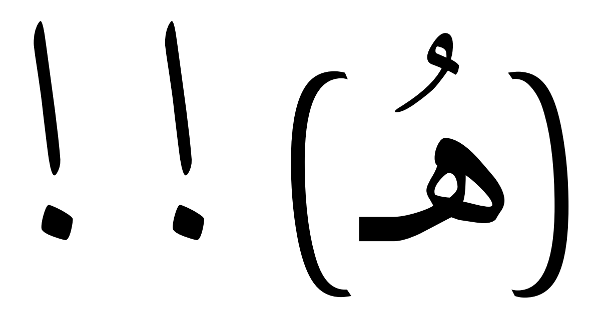
فضيلة الشيخ

عثمان بن الشيخ عمر بن الشيخ داود "حدِغْ"
الشافعي الصومالي العَيْل طيْرِي مولدا ثم المقدشي

راجعه وصححه الشيخ عبد الناصر علي حسين

الطبعة الثانية: شعبان سنة ١٤٢٨هـ

مزيدة ومنقحة



الهاء المضمومة في اللغة السريانية اسم من أسماء الله عز وجل، وقد قيل: إنها أصل الجلالة "الله"

قال الله عزّ وجلّ في الحديث القدسيّ: لاْ إِلَهَ إلاّ اللهُ كَلاْمِيْ، وَأَنا هُوَ، فَمَنْ قَالَهَا دَخَلَ حِصْنِيْ، وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِيْ أَمِنَ عِقَابِي .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنار قلوب أحبابه بشموس أنواره، وهدى من شاء من عباده إلى ما يقربه من طاعته وعبادته، ووفق من أراده لخدمة دينه وإعلاء كلمته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى، والصفات العليا، وهو الذي لا إله إلا هو، يصور في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو، وأشهد أنّ سيدنا محمدا عبده ورسوله وصفيه وحبيبه، صلى الله وسلم ومجد وشرف وكرم على هذا النبي الأمين، خير خلق الله أجمعين، من أخرج الناس من الظلمات إلى النور، وهداهم إلى الصراط المستقيم، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الجزاء، وفصل القضاء، وعلينا وعلى المشايخ والوالدين والأحباب أجمعين .

أما بعد: فإننا في عصر وزمان التبس فيه الحق بالباطل، واستوى فيه العالم والجاهل، وتشابه الغبي الأحمق واللبيب العاقل، وادعى كل ناطق أنه الإمام الفاضل، وأن لديه من العلوم ما عجزت عنه الأوائل، فتحزبت الأحزاب وتكاثرت الطوائف، وتنافرت القلوب وتباينت الأفكار والمذاهب، ونصبت كل فرقة راياتـها، وفرحت بما لديها، ودعت الناس إلى ما عندها، وانقلبت المودة والأخوة إلى المقاطعة، والألفة والموالاة إلى المعاداة، وأدّى ذلك إلى إمساك الصالحين من العلماء الأتقياء ألسنتهم عن خوض الخائضين، وتمسكوا بقول صاحب الحكمة الإمام سفيان بن سعيد الثوري: الزموا الصوامع في آخر الزمان، إن صوامعكم بيوتكم، فصاروا أحلاس بيوتـهم فرارا بدينهم، وتباعدا عن فتن الفرق المختلفة، وكان

من الحوادث كثرة الاعتراضات والازدراء وطعن الأبرياء، وكان من بين ذلك انتقاد الصوفية قدس الله أسرارهم فى قولهم في حلق الذكر وغيرها: "هو" أو "ياهو" .

والمعترضون في ذلك أقسام، قسم خَفِيَ عنهم مقصود هذه الطائفة من هذه الكلمة، وظهر لهم ما يتبادر لكل من يعرف اللغة العربية من أنـها ضمير غيبة، فاستغرب استعمالها في ذكر الله والتقرب بـها إلى الله تعالى، فأنكر ذلك بقلبه مع سلامة صدره لهذه الطائفة وحسن اعتقاده فيهم، فمراده بذل النصيحة إليهم وإرشادهم إلى ما هو الأصلح لديه.

وقسم يبغضون لهذه الطائفة بذاتـها ويضمرون لهم المقت والكراهية، فيبالغون في ذمهم والسعي إلى إساءتـهم ويبحثون لتنقيصهم كل ما يجدونه من إفتراء وبـهتان، فنسبوا إليهم كل شنيعة ورذيلة، وأكثروا فيهم الكلام وقالوا: إن هذه الكلمة من ألعاب الصوفية، فجمعوا أكاذيب اختلقوها ثم رموها بـهم ظلما وعدوانا.

وقسم لم ينكر عليهم في هذه الكلمة ولم يعترضهم فيها لثقته بـهم ومحبته لهم لكن في قلبه نوع تردد وشك فيقول في نفسه: كيف تكون لفظة "هو" ذكرا يتقرب به إلى الله؟. وهذا كثير في طلبة العلم المبتدئين، وكنتُ أشعر في نفسي شيئا من هذا التردد في أوائل طلبي للعلم ثم أقْنِعُهَا بأن المشايخ الكبار والعلماء الأخيار الذين يكثرون ذكرها فى حلق الذكر تقربا بـها إلى الله تعالى لا يضّيعون عمرهم في ترديد كلمة ليس لهم فيها فائدة، وقد كان من بينهم كثير من الفقهاء الأجلاء، والزهاد الأتقياء، بل كان بعضهم مشايخي وكان بعض الطلبة مثلي في هذا الشعور، فُيقنِع

بعضنا بعضا بذلك، وهذه مرحلة يمرّ بـها أكثر طلبة العلم في ابتداء تعلمهم العلم، لأن الذي يقرع أول سماعهم أنّ لفظ "هو" ضمير غيبة مفرد مذكر، فلا غرو أن يستغربوا كونـها ورداً يتقرب به إلى الله، بل سمعت من سيدي الشيخ أبي علي بن الشيخ بدر الدين محمد بن الشيخ علي ميه أنّ العلاّمتين النحريرين والإمامين الشهيرين سيدي الشيخ علي ميه والشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الشاشي المشهور بالشيخ "صوفي" وقعتْ بينهما المناظرة والمباحثة في كون هذه الكلمة ذكرا من الأذكار المطلوبة .

فأحببت أن أتطفّل إلى خدمة هذه الكلمة وتوضيح ما قاله بعض العلماء فيها، وإن لم أكن أهلا لذلك فإن البحث عن هذه اللفظة وحل رموزها وكشف ما احتوته من اللطائف والحقائق من شأن ذوي العرفان الواصلين، ومن وظائف أهل التحقيق والتدقيق من العلماء الراسخين، ويحتاج تحقيقها وكشف معانيها الخفية إلى علوم ليس عندي عشرها بل ولا معشارها، وقد سمعت من بعض مشايخنا الصالحين يقول: إن فيها أسرارا لا ينبغي إفشاؤها، بل اللائق كتمانـها إلا عن أهلها، كما قال القائل:

ومن منح الجهال علما أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

ولكني اعتماداً على جزيل إحسانه تعالى، واتكالاً على فضله وعظيم نواله، عزمتُ على جمع رسالة أذكر فيها ما يسّره الله لي مما يتعلق بـهذه الكلمة، وهذا مع كثرة الهموم والشواغل والعوائق والعلائق، ومع قلة المراجع التي استفيد منها، ولم أر كتابا ألف فيها، وإنما التقطت من بطون

الكتب وصدور الرجال ما ظهر لى أنه مناسب لهذا الموضوع، ثم ضممت إلى ذلك ما ظهر لخاطري الفاتر، وبدا لذهني القاصر، والله المستعان وإليه التفويض وبه استنادي واعتمادي ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

مقدمة

لما كان البحث في هذا التأليف عن لفظ قال فيه بعض العلماء إنه اسم من أسماء الله تعالى ابتدأت بذكر أسمائه تعالى المشهورة تبركا بـها وتعرضا لنفحاتـها.

قال الله تعالى: {**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بـها**} وقال تعالى: {**قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاًمّا تدعوا فله الأسماء الحسنى**} وقال تعالى: {**له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض**} .

وروى البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدة من أحصاها دخل الجنة. أحصيناه: حفظناه اهـ.

وروى الإمام أبو عيسى الترمذي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن لله عز وجل تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة، هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفارالقهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الأحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك الملك

ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور، رواه الترمذي في الدعوات، ورواه أيضا كما في "الجامع الصغير" للسيوطي ابنُ حبان في صحيحه والحاكم في "مستدركه" والبيهقي في "شعب الإيمان" ورواه أبو الشيخ وابن مردويه كلاهما في التفسير وأبو نعيم عن أبي هريرة بما يخالف سياق الترمذي ومن معه في الترتيب والزيادة والنقصان ورواه أيضا بما يخالفهما في ذلك ابن ماجه عن أبي هريرة والروايتان الأخيرتان ضعيفتان كما قاله السيوطي في "الجامع الصغير" وأما الأولى فحديثها حسن كما قاله النووي في "الأذكار" ورمز له السيوطي بالصحة في "الجامع الصغير" .

والمراد من قوله صلى الله عليه وسلم: "إن لله تسعة وتسعين اسما" أن أسماءه تعالى تبلغ هذا العدد، ولا يقتضي انحصارها فيه، فقد روىَ في رواية غير الترمذي أسماء ليست فيها، ففي رواية أبي نعيم وابن مردويه وغيرهما الوتر، الفاطر، الصادق، الكفيل، ذو المعارج، ذو الفضل، وغير ذلك مما ليس في رواية الترمذي المشهورة، وأيضا ليس في هذه الصيغة أداة حصر ولا ما يقوم مقامها، فحينئذ لا ما نع من الزيادة على هذا العدد، قال الحافظ العسقلاني في "فتح الباري شرح صحيح البخاري"(١): اختلف في هذا العدد، هل المراد به حصر الأسماء الحسنى في هذه العدة أو أنـها أكثر من ذلك، ولكن اختصت هذه بأن من أحصاها دخل الجنة؟ فذهب الجمهور إلى الثاني، ونقل النووي اتفاق العلماء عليه، فقال: ليس في الحديث حصر أسماء الله تعالى، وليس معناه

---

(١) ج١١ص٢٢٠.

أنه ليس له اسم غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء، ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن مسعود الذي أخرجه أحمد وصححه ابن حبان " أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك" وعند مالك عن كعب الأحبار في دعاء " أسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم" وأورد الطبري عن قتادة نحوه، ومن حديث عائشة أنـها دعت بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم بنحو ذلك، وقال الخطابي: في هذا الحديث إثبات هذه الأسماء المخصوصة بـهذا العدد، وليس فيه منع ما عداها من الزيادة، وإنما التخصيص لكونـها أكثر الأسماء وأبينها معاني، وقال القرطبي في "المفهم" نحو ذلك، ونقل ابن بطال عن القاضي أبي بكر ابن الطيب قال: ليس في الحديث دليل على أنه ليس لله من الأسماء إلا هذه العدة، وإنما معنى الحديث: أن من أحصاها دخل الجنة، ويدل على عدم الحصر أن أكثرها صفات وصفات الله لا تتناهي، وحكى القاضي أبوبكر ابن العربي عن بعضهم: أن لله ألف اسم، قال ابن العربي: وهذا قليل فيها انتهى ما نقلته من الفتح. وجرى الإمام الغزالي على هذا أيضا في "المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى"(١) فقال فيه: أسماء الله تعالى غير مقصورة على تسعة وتسعين، بل ورد في القرآن ما يزيد على التسعة والتسعين الواردة في رواية الترمذي المشهورة، من ذلك: المولى والنصير

---

(١) ص١٥٧.

والغالب والرب والناصر والقريب، وشديد العقاب، وقابل التوب، وغافر الذنب، ومخرج الحي من الميت، ومخرج الميت من الحي، وقد ورد في الخبر: "السيد" هو الله، وفي الحديث: لا تقولوا جاء رمضان، فإن رمضان اسم من اسماء الله تعالى لكن قولوا جاء شهر رمضان، وكذلك ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما أصاب أحدا هَم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض ِفي حكمك عدل ِفيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب غمي إلا أذهب الله عز وجل حزنه وأبدل مكانه فرحا. وقوله استأثرت به في علم الغيب عندك: يدل على أن الأسماء غير محصورة فيما وردت به الروايات المشهورة اهـ .

وفي "الفيض القدير شرح الجامع الصغير"(١) ليس في الخبر ما يفيد الحصر في هذا العدد لأن قوله من أحصاها صفة تسعة وتسعين .

وفى "الدرّ المنثور فى التفسير بالمأثور" للحافظ السيوطي فى تفسير قولـه تعالى: "**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بـها**": أخرج أبو نعيم عن محمـد ابن جعفر قال : سألت أبى جعفر بن محمد الصادق عن الأسماء التـسعة والتسعين التى من أحصاها دخل الجنة فقال: هى فى القرآن، ففى الفاتحة خمسة أسماء: يا الله، يا رب، يا رحمن، يا رحيم، يا مالك، وفى البقـرة ثلاثة وثلاثون اسما: يا محيط، يا قدير، يا عليم، يا حكيم، يا علـي، يـا

---

(١) ج٢ص٤٧١.

عظيم، يا تواب، يابصير، يا ولي، يا واسع، يا كافي، يا رؤوف، يا بديع، يا شاكر، يا واحد، يا سميع، ياقابض، يا باسط، يا حي، يا قيوم، يا غني، يا حميد، يا غفور، يا حليم، يا إله، يا قريب، يامجيب، يا عزيز، يا نصير، يا قوي، يا شديد، يا سريع، يا خبير. وفى آل عمران: ياوهاب، يا قائم، يا صادق، يا باعث، يا منعم، يا متفضل. وفى النـساء: يـا رقيـب، ياحسيب، يا شهيد، يا مقيت، يا وكيل، يا علي، يا كبير. وفى الأنعام: يا فاطر، يا قاهر، يا لطيف، يا برهان(١). وفى الأعراف: يا محيـي، يـا مميت. وفى الأنفال: يا نعم المولى، يا نعم النصير. وفى هود: يا حفيظ، يا مجيد، يا ودود، يا فعال لمايريد. وفى الرعد: يـا كـبير، يامتعـال. وفى إبرهيم: يا منان، يا وارث. وفى الحجر: يا خلاق. وفى مريم: يا فرد(٢). وفى طه: يا غفار. وفى قد أفلح: يا كريم. وفى النور: يا حق، يا مـبين. وفى الفرقان: يا هادى. وفى سبأ: يا فتاح. وفى الزمر: يا عالم. وفى غافر: يا غافر، يا قابل التوبة، يا ذا الطول، يا رفيع. وفى الذاريات: يا رزاق، يا ذا القوة، يا متين. وفى الطور: يا بر. وفى اقترب: يا مليك، يا مقتـدر . وفى الرحمن: يا ذا الجلال والإكرام، يا رب المشرقين، يا رب المغربين، يا باقي. وفى الحديد: يا أول، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن. وفى الحشر: يـا ملك، يا قدوس، يا سلام، يا مؤمن، يا مهيمن، يا عزيز، يا جبار، يـا

---

[١] لم يظهر لي مأخذ هذا الإسم من هذه السورة، وفي "الأسنى" للقرطبي: في الأنعـام خمـسة أسماء، يا فاطر، يا قاهر، يا قادر، يا ليطف، يا خبير.

[٢] لم يظهر لي بعد التأمل هذا الإسم في سورة مريم، والذي في "الأسنى" أن في سـورة مـريم إسمان فقط، يا صادق، يا وارث.

متكبر، يا خالق، يا باري، يا مصور. وفى البروج: يا مبدئ، يا معيـد. وفى الفجر: يا وتر. وفى الإخلاص: يا أحد، يا صمد.

وفي عد أسماء الله الحسنى المذكورة في القرآن تفوات بين ما ذكره القرطبي في "الأسنى" وبين ما نقلناه عن "الدر المنثور" فليحرر .

وبالجملة تقرر بما ذكرناه أن أسماءه تعالى غير محصورة في تسعة وتسعين اسما، لأن الله جل اسمه ذكر في كتابه العزيز أسماء كثيرة ليست في رواية الترمذي المذكورة، وكذلك في روايات غير الترمذي عدد كثير من الأسماء ليس ذلك فيها أيضا فيظهر حينئذ أن دعوى القائلين: إن لفظ "هو" ليس في رواية الترمذي المشهورة فليس من الأسماء الحسنى دعوى غير صحيحة وهي ظاهرة البطلان لأنه يلزم من نفي كل ما لم يُذْكَر في رواية الترمذي نفي الأسماء المذكورة في القرآن، وفي الأحاديث الأخرى، وهذا لا يقوله أحد والله الموفق .

نبذة مما قيل في الإسم الأعظم

ذكر الحافظ السيوطى في "الدر المنظم في الاسم الأعظم" في ضمن "الحاوي للفتاوي"(١): أنه تتبع ما ورد في الاسم الأعظم من الأحاديث والأقوال فقال: فيه أقوال، فذكر عشرين قولا، ومما قال فيه: القول الثالث: أنه "هو" نقله فخر الدين الرازي عن بعض أهل الكشف. القول الثامن عشر: أنه كل اسم من أسمائه تعالى دعا العبد به ربه مستغرقا بحيث لا يكون في فكره حالتئذ غير الله فإن من دعا الله تعالى بـ ـهذه الحالة كان قريب الإجابة. وأخرج أبو نعيم في "الحلية" عن أبي يزيد البسطامي أنه سأله رجل عن اسم الله الأعظم؟ فقال: ليس له حد محدود، إنما هو فراغ قلبك لوحدانيته، فإذا كنت كذلك فافزع إلى أي اسم شئت .

وقال شيخ الاسلام أبو الفضل الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني في "فتح الباري"(٢): قد أنكر قوم الاسم الأعظم فقالوا: لا يجوز تفضيل بعض الأسماء على بعض، وحملوا ما ورد من ذلك على أن المراد بالأعظم العظيم وأن اسماء الله كلها عظيمة، وقيل: المراد بالاسم الأعظم كل اسم من أسماء الله تعالى دعا العبد به مستغرقا بحيث لا يكون في فكره حالتئذ غير الله تعالى، فإن من تأتي له ذلك استجيب له ونقل معنى هذا عن جعفر الصادق وعن الجنيد وعن غيرهما، وقال آخرون: استأثر الله بعلم الاسم الأعظم ولم يطلع عليه أحدا من خلقه، وأثبته آخرون معّينا واضطربوا في ذلك، وجملة ما وقفت عليه من ذلك أربعة عشر قولا:-

---

(١) ج٢ص١٣٥-١٣٩.

(٢) ج١١ص٢٢٤.

الأول: اسم الأعظم"هو" نقله الفخر الرازي عن بعض أهل الكشف.

الثاني: الله، لأنه اسم لم يطلق على غيره، ولأنه الأصل في الأسماء الحسنى ومن ثم أضيفت إليه.

الثالث: الله الله الرحمن الرحيم.

الرابع: الرحمن الرحيم الحي القيوم.

الخامس: الحي القيوم، وقوّاه الفخر الرازي واحتج بأنـهما يدلان من صفات العظمة بالربوبية ما لا يدل على ذلك غيرهما كدلالتهما.

السادس: الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام الحي القيوم، ورد ذلك مجموعاً في حديث أنس عند أحمد والحاكم وأصله عند أبي داود والنسائي وصححه ابن حبان.

السابع: بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام.

الثامن: ذو الجلال والإكرام، أخرج الترمذي من حديث معاذ بن جبل قال: سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول: يا ذا الجلال والإكرام، فقال: قد استجيب لك فسل.

التاسع: الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد، أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث بريدة، وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك

العاشر: "رب رب".

الحادي عشر: دعوة ذي النون {**لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**}.

الثاني عشر: نقل الفخر الرازي عن زين العابدين أنه سأل الله أن يعلمه الاسم الأعظم فرأى في النوم "هو الله الله الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم".

الثالث عشر: هو مخفي في الأسماء الحسنى.

الرابع عشر: كلمة التوحيد، انتهى باختصار.

وفي "فيض القدير شرح الجامع الصغير" للعلامة المناوي(١): أنه قد اختلف في الاسم الأعظم على نحو أربعين قولاً أفردها السيوطي وغيره بالتآليف. وفيه أيضا أن بني إسرائيل سألوا موسى الكليم عن اسم الله الأعظم فأوحى الله إليه أن مُرْهُمْ أن يدعوني: بأهيا شراهيا، ومعناه الحي القيوم، قال: وكان عيسى عليه الصلاة والسلام إذا أراد أن يحيي الموتى قال يا حي يا قيوم، وقال أيضا: إن الحي القيوم دعاء أهل البحر إذا خافوا الغرق. انتهى.

وقد أطال العلامة يوسف بن اسماعيل النبهاني الكلام على اسم الله الأعظم في كتابه "سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين" وأكثر فيه النقول عن المشايخ فمما قال فيه: قال العلامة العزيزي في "شرح الجامع الصغير": قال العلقمي: اختلف العلماء في الاسم الأعظم في أقوال كثيرة لخصها شيخنا يعني الحافظ السيوطي في كتابه "الدر المنظم" ثم ذكر الأسماء التي ذكرها الحافظ العسقلاني المذكورة وزاد عليها "مالك الملك" و"اللهم" و"ألم" انتهى .

---

(١) ج١ص٥١٠.

وقال فيه أيضا: قال بكر بن العلاء: سألت سهل بن عبد الله عن اسم الله الأعظم فقال: هو الله، قلت له: فقد قيل: إنه إذا سئل به أعطى ونحن نسأله ولا يعطينا، فقال: لو سألته وقلبك فارغ من كل شيء إلا من مناجاته لأجابك في الوقت ثم قرأ: {**وأصبح فؤاد أم موسى فارغا**} أي من كل شيء إلا في المسألة في أمر موسى عليه وعلى نبينا أفضل السلام.

وقال ذو النون المصري: اسم الله الأعظم هو "السريع" الذي إذا دعى به أجاب.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: اسم الله الأعظم يا ظاهر، وقد روى عن علي أيضا قال: اسم الله الأعظم ترك المعاصي، وقال علي أيضا: اسم الله الأعظم ألم كهيعص حم عسق، وما أشبه ذلك، وقال بعضهم: هو ربنا، وقيل: هو أرحم الراحمين، وقيل: هوالوهاب، وقيل: هو خير الوارثين، وقيل: هو حسبنا الله ونعم الوكيل، وقيل: هو الغفار، وقيل: هو القريب، وقيل: هو سميع الدعاء، وقيل: هو السميع العليم، انتهى ما أردت نقله من "سعادة الدارين" للنبهاني، وقد تكلم بإسهاب عن الاسم الأعظم فاقتصرت منه على هذا.

وقال سيدي عبد الوهاب الشعراني في الباب السادس عشر من "لطائف المنن الكبرى": ومما مَنّ الله تبارك وتعالى به عليّ معرفتي باسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ولكن لا أعلّمه لمن طلبه إلا إن وثقت بدينه وتخوّفه من الله تعالى وشفقته على خلقه، فإني أخاف أن يدعو به على كل من غضب عليه أو أذاه فيهلكه الله تعالى كما وقع لبلعم بن باعوراء، ولولا أن غيري من الأولياء سبقني إلى كتمانه لذكرته لك على التعيين يا

أخي في هذا الكتاب، ولكن الكتاب يقع في يد أهله وفي يد غير أهله، وبالجملة فلا يطلع أحد عليه إلامن طريق الكشف فاعلم ذلك ترشد، وذكر جملة من الأقوال في تعيين الاسم الأعظم، وقال: لا تفيد هذه الأقوال الجزم بمعرفته، فمما قال فيه: ذهب بعضهم إلي أن اسم الله الأعظم"هو" انتهت عبارة لطائف المنن.

وقد أفرد بعض العلماء تآليف في أسماء الله الحسنى منهم الحافظ البيهقي، والإمام فخر الدين الرازي، وحجة الاسلام الغزالي، والحافظ السيوطي، واليافعي، وغيرهم، وللإمام المفسر القرطبي كتاب "الأسنى شرح أسماء الله الحسنى وصفاته"، ولابن العربي "الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى" .

خاتمة في اتخاذ أسماء الله الحسنى وردا

قال العلامة المحدث الكبير سيدي أحمد بن المبارك في "الإبريز من كـلام سيدي عبد العزيز"(١): سمعت سيدي عبد العزيز بن مـسعود الـدباغ رضي الله عنه يتكلم على أسمائه تعالى وعلـى الـذين يذكرونـها في أورادهم فقال رضي الله عنه: إن أخذوها عن شيخ عارف لم تـضرهم، وإن أخذوها من غير عارف ضرتـهم، فقلت: و ما السبب في ذلـك؟ فقال رضي الله عنه: الأسماء الحسنى لها أنوار من أنوار الحـق سـبحانه وتعالى، فإذا أردت أن تذكر الاسم فإن كان مع الاسم نـوره وأنـت تذكره لم يضرك، وإن لم يكن مع الاسم نوره الذي يحجب العبد مـن الشيطان حضر الشيطان وتسبب في ضرر العبد، والشيخ إذا كان عارفا وهو في حضرة الحق دائما وأراد أن يعطي اسما من أسمـاء الله الحـسنى لمريده أعطاه ذلك الاسم مع النور الذي يحجبه فيذكره المريد ولا يضره، ثم هو أي النفع به على النية التي أعطاها الشيخ ذلك الاسم بـها، فـإن أعطاه بنية إدراك الدنيا أدركها أو بنية إدراك الآخرة أدركهـا أو بنيـة معرفة الله تعالى أدركها .

وأما إن كان الشيخ الذي يلقن الاسم محجوبا فإنه يعطي مريـده مجـرد الاسم من غير نور يحجب فيهلك المريد نسأل الله الـسلامة، فقلـت: فالقرآن العزيز فيه الأسماء الحسنى وحملته يتلونه ويتلون الأسماء الحـسنى التي فيه دائما ولا تضرهم فما السبب في ذلك مع أنـهم لا يأخذونـها عن شيخ عارف؟ فقال رضي الله عنه: سيدنا ونبينا ومولانا محمد صـلى

---

(١) ص٤٣٧.

الله عليه وسلم أرسله الله بالقرآن لكل من بلغه القرآن من زمانه صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة، فكل تال للقرآن فشيخه فيه هو النبي صـلى الله عليه وسلم، فهذا سبب حجب حملة القرآن نفعنا الله بـهم اهـ.

وقال الشيخ أحمد عبد الجواد في كتابه الذي ألفه في أسماء الله الحسنى(١): اعلم أنه لا بد من شيخ متمكن رشيد يعطي مريده قدر ما يتحمله قلبه من الأسماء، وإلا احترق كالطفل أو النبات يسقي بماء واحد إن كثر عليه هلك {**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**} اهـ.

فائدة فيما يفتتح به الأسماء الحسنى

وفي "الأسنى شرح أسماء الله الحسنى" للقرطبي(٢): قال زهير بن محمد التميمي: بلغنا أن غير واحد من أهل العلم أن أول أسماء الله الحسنى يفتتح بقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله له الأسماء الحسنى اهـ

وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود.

---

[١] ص٢٣٣.

[٢] ص٩٣.

المبحث الأول: في **الكلام على أن "هو" سريانية**

قال سيدى عبد العزيز بن مسعود الدباغ في مواضع من كتابه "الابريز": إن الهاء المضمومة من "هو" اسم من أسمائه تعالى في اللغة السريانية وهي لغة الأرواح وبـها يتخاطب الأولياء من أهل الديوان فيما بينهم لاختصارها وحملها المعاني الكثيرة التي لا يمكن أداؤها بمثل ألفاظها في لغة أخري. والسريانية أصل اللغات بأسرها، واللغات طارئة عليها، وكان سيدنا آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لما نزل إلى الأرض يتكلم بالسريانية مع زوجته وأولاده، وأول لغة استنبطت منها لغة الهند فهي أقرب شئ إلى السريانية، وهي كلام أهل الجنة، وحديث أحبوا العرب لثلاث لإني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي لم يقله النبي صلي الله عليه وسلم، وقال الشيخ أحمد بن المبارك: قال العقيلي: هذا الحديث لا أصل له وعده ابن الجوزي في الموضوعات.

وذكر السيد عبد العزيز أن أصل "هو" الهاء، والواو صلة، وقال في موضع من الابريز[١]: إن الهاء التي بعدها صلة فإنـها وضعت لتدل علي الذات المقدسة الخالقة للعوالم كلها سبحانه لا إله إلا هو.

وفي موضع آخر[٢]: أشير بالهاء الموصولة إلى الذات العلية من حيث أنـها خالقة ومالكة ومتصرفة وقاهرة ومختارة، وقال أيضا[٣]: الهاء في اللغة السريانية إن كانت مضمومة فهي اسم من أسمائه تعالى وإن كانت

---

[١] ص٢٠٤.

[٢] ص٢٠٦.

[٣] ص٢٢٤.

مفتوحة فهي الرحمة الظاهرة التي لا نـهاية لها، وإن كانت مكسورة فهي إشارة إلى الخيرات التي تخرج من ذوات المخلوقات.
وقال أيضا: الهاء المضمومة بمنـزلة من يقول: رب العالمين. انتهى ملخصا.
فعلى كونـها سريانية ينتهي الكلام ويزول الاشكال بل ويبطل الاعتراض من أصله، لأنه لا يَشُكُّ أحد على جواز النطق بأسماء الله تعالى باللغة السريانية وغيرها من سائر اللغات.
قال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره "مفاتيح الغيب": اسماء الله وصفاته مذكورة بالفارسية وبالتركية وبالهندية وشئ منها لم يرد في القرآن ولا في الأخبار مع أن المسلمين أجمعوا على جواز إطلاقها .
والسريانية بضم السين وسكون الراء وقيل بكسرها وتشديد الياء الثانية
قال الخفاجي في "نسيم الرياض"(١): هي أول اللغات ومنها تشعبت سائر اللغات، ثم صار أصول اللغات سريانية وعبرانية وعربية اهـ .
ونقل السيوطي عن شيخه البلقيني أن سؤال القبر بالسرياني فقال في منظومة جمع الشتات فيما تفرق من أحوال الأموات:

ومن غريب ما تري العينان   أن سؤال القبر بالسرياني
أفتي بـهذا شيخنا البلقيني   ولم أره لـغيره بعـيني

وقال مثل ذلك العارف بالله سيدي عبد العزيز بن مسعود الدباغ في الابريز وأطال في ذلك فمما قاله فيه: إن السريانية لغة الملائكة والأرواح، ومن جملة الملائكة ملائكة السؤال، وإنما يجيب عن سؤالهما روح الميت

---

(١) ج ٢ص٤٠٧.

وهي تتكلم بالسريانية كسائر الأرواح وأن الملكين يقولان للميت بلفظ السريانية: "مرازهو" فيجيبهما إن كان مؤمنا موفقا "مَرَاْدْ أَزِيْرْ هُوْ" وضبط ذلك وتفصيله في الابريز.

المبحث الثاني: في كون هذا اللفظ عربيا

اعلم أن الهاء والواو في اللغة العربية حرفان متواليان في الحروف الأبجدية فإنـهم يقولون: أبجد هوز إلخ، وكذلك في حروف الهجاء، والهاء مقدمة على الواو على طريقة المغاربة وعلى عكسها طريقة المشارقة فالواو فيها مقدمة على الهاء.

وفي كتاب "المقاييس" لأبي الحسن أحمد بن فارس أن "هُوَ" من العربية والأصل هاء ضمت إليه واو، ومن العرب من يثقلها فيقول: "هُو هُو" ومنهم من يقول: "هُوْ " اهـ. يعني بسكون الواو، فقد قال في الجمل، ومنهم من يسكن الواو فيقول: "هُوْ " .

وفي "لسان العرب" لابن منظور: أن الكسائي حكى عن بني أسد وتميم وقيس "هُوْ فعل ذلك" بإسكان الواو، وقال أبو الهيثم: بنو أسد تسكن هي وهو فيقولون: هُوْ زيد وهِيْ هند وهِيْ قالتْ وهُوْ قاله، بإسكان الواو والياء، وقال الأزهري: ومن العرب من يشدد الواو من "هو" والياء من "هي" وقال الكسائي: ومن العرب من يخففه فيقول: "هو" فعل ذلك، وفي اللسان أيضا ومن العرب من يحذف الواو مع الحركة التي على الهاء فيسكن الهاء حكى اللحياني عن الكسائي " لَهْ مال" بإسكان الهاء أي لهو مال، ويحذف أيضا الواو مع إبقاء الحركة فيقال: مَاهُ قاله، وماهِ قالته، يريدون ما هو وما هي .

وقال أبو حيان في "البحر المحيط": مشهور لغات العرب في "هو" تخفيف الواو مفتوحة، وشدتـها همدان وسكنتها أسد وقيس، وحذف الواو مختص بالشعر اهـ .

فلغاتـها خمسة، الأولى: "هو" بفتح الواو مخففة وهذه أشهرها وأكثرها استعمالا، الثانية: "هوّ" بفتح الواو مشددة، الثالثة: "هوْ " بسكون الواو، الرابعة: حذف الواو مع حركة الهاء نحو "لَهُ مال "، الخامسة: حذف الواو وإبقاء حركة الهاء نحو ماُه قاله، وماهِ قالته، يريدون ما هو وما هي.

وفي "البحر المحيط" لأبي حيان: أن "هو" اسم مركب من حرفين وهما الهاء والواو، والهاء أصل والواو زائدة بدليل سقوطها في التثنية والجمع في هما وهم، والأصل حرف واحد يدل على الواحد الفرد، وستأتي عبارته أبسط من هذا إن شاء الله تعالى اهـ .

فالحاصل أن الهاء من "هُو" هي الأصل في اللغة السريانية والعربية، والواو صلة فيهما.

وفي "لسان العرب" إذا وقفتَ على هو وصلت الواو فقلت: "هوه" وإذا أدرجت طرحت هاء الصلة.

وقال الكسائي: بعضهم يلقي الواو من "هو" إذا كان قبلها ألف ساكنة فيقول: حَتَا هُ فعل ذلك، وإنما هُ فعل ذلك، ولم يقّيد الجوهري حذف الواو من "هو" بقوله إذا كان قبلها ألف ساكنة .

تكملة في بعض ما يستعمل به حرف الهاء

اعلم أن الهاء المفردة من حروف الزيادات التي يجمعها قولك: "سألتمونيها"، وتكون أصلا نحو هند وفهد وشِبه، وتبدل من خمسة أحرف وهي الهمزة والألف والتاء والواو والياء، ولها أحوال مختلفة ومدلولات متنوّعة:

منها أنـها تكون اسما وفعلا وحرفا، وتكون اسما إذا كانت ضميرا للغائب، وتستعمل في النصب والجر نحو قوله تعالى: {**قال له صاحبه وهو يحاوره**}، وتكون حرفا للغيبة وهي الهاء في "إياه"، وتكون فعل أمر من وَهَي يَهي ِه، كوعى يعي ع، ففي "القاموس" وَهَى كَوَعَى وَوَلي: تخرق وانشق واسترخى رباطه، وَوَهَى الرجل حَمُقَ وَسَقَطَ اهـ.

ومنها أنـها تكون بدلا من الهمزة مثل هراق الماء يُهَرِيقه هِراقة أصله أراق يريق إراقة صبه، وقد تكون أيضا بدلا عن فاء الكلمة وعينها ولامها نحو: عِدَة وصِفَة فإن الهاء فيهما عوض عن الواو التي هي فاء الكلمة لأن أصلهما "وعد ووصف" ونحو إقامة فقد كان أصلها إقواما، فحذفت عين الكلمة التي هي الواو، وعوض عنها الهاء، ونحو مائة فإن أصلها "مأي" من "مأيت" القوم تممتهم مائة فالهاء عوض عن لامها.

ومنها كما قال ابن منظور في "لسان العرب": أن الهاء تزاد في كلام العرب على سبعة أضرب، أحدها للفرق بين الفاعل والفاعلة مثل ضارب وضاربة، وكريم وكريمة.

والثاني: للفرق بين المذكر والمؤنث في الجنس نحو امرئ وامرأة.

والثالث: للفرق بين الواحد والجمع، مثل تَمْرة وَتمْر، وبقَرة وبقَر.

والرابع: لتأنيث اللفظة وإن لم يكن تحتها حقيقة تأنيث، نحو قربة وغرفة.
والخامس: للمبالغة، مثل علامة ونسابة في المدح،
والسادس: أنـها تدخل في الجمع لتدل على النسب ما كان واحدا من جنس يقع على الذكر والأنثى، نحو بطة وحية.
والسابع: أنـها تدخل في الجمع لتدل على النسب نحو الْمَهالِبَة، أوتكون عوضا عن محذوف نحو العبادلة وهم عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص .
وفي اللسان أيضا أن الهاء تزاد في الوقف لبيان الحركة نحو سلطانيه وماليه
ومنها جواز الحركات الثلاث والسكون في هاء الضمير، ففي اللسان: روي عن أبي الهيثم أنه قال: مررت بهْ وبِهِ وبِـهيْ، قال: وإن شئت قلت: مررت بهْ وبهُ وبـهوْ، وكذلك ضربه فيه هذه اللغاتُ، وكذلك يضربهْ ويضربهُ ويضربـهوْ اهـ
ومنها أنـها تكون للتأنيث نحو رحمه في الوقف.
ومنها أنـها تدخل على اسم الله في القَسَمِ عند حذف الواو، فتقول: لاَهِ الله ما فعلت "أي لا والله " أبدلت الهاء من الواو، وقد تزاد الألف فيقال: لاها الله ما فعلت.
ومنها أنـها تكون بمعنى همزة الاستفهام في لغة طيئ فإنـها تقول: هزيد فعل ذلك؟ يريدون أزيد فعل ذلك.
وسيأتي إن شاء الله أن بعض أصحاب العربية والنحو قالوا: إن الهاء أصل الجلالة "الله".

هذا إذا كانت الهاء مجرّدة عن الألف، فأما إذا اتصلت بـها الألف فلها أيضا معان ودلالات أخرى:

ومنها أنـها تكون لتنبيه المخاطب إذا كانت مقصورة، يُنَبِّهُ بـها على ما يُساق إليه الكلام نحو "ها" السلام عليكم، فإنـها منبهة مؤكدة.

ومنها أنـها تكون بمعنى هات كقول عمر رضي الله عنه لأبي موسى: "ها" وإلا جعلتك عظة، أي هات من يشهد لك على قولك.

ومنها أنـها تكون اسما لفعل وهو خذ .

ومنها أن "ها" تكون زجرا للإبل، ودعاء لها، وكلمة إجابة وتلبية، كما في القاموس وشرحه .

فهذا شي يسير من بعض حالات هذا الحرف ومواقعه وموارده في اللغة العربية، وله غرائب وعجائب في مبناه ومعناه، فنقتصر بما ذكرناه، ونذكر الآن إن شاء الله ما يسره الله لنا من معاني لفظة "هو" ومدلولاتـها.

القائلون بأن لفظ "هو" إشارة لغةً

قال بعضهم: إن "هو" إشارة إلى المولى تبارك وتعالى، قال العلامة المحدث ابن علان الصديقى فى "شرح الأذكار" عند شرح قوله صلى الله عليه وسلم: وأرجو أن أكون أنا هو، قال الأُبِّيُ في "شرح صحيح مسلم": يمكن أن يقال: إن هو وضع موضع الإشارة أي أن أكون أنا ذلك العبد كقوله:

فيها خطوط من سواد وبلق   كأنه في الجلد توليع البهق

قيل لقائله: إن أردت الخطوط فقل كأنـها وإن أردت السواد والبلق فقل: كأنـهما، فقال: أردت كأن ذلك، والبلق بفتح الباء واللام سواد مع بياض والبهق بياض في الجلد وليس بداء والتوليع الاستطالة.

وفي "المعجم الوسيط" فرس مولع استطال بلقه وتفرق. والبيت في وصف حمر وحشية. وفي " المغني" لابن هشام قال أبو عبيدة لرؤبة بن العجاج لما أنشد هذا: إن أردت الخطوط فقل: كأنـها أو السواد والبلق فقل: كأنـهما، فقال: أردت ذلك ويلك اهـ.

وقال أبو حيان في تفسيره "البحر المحيط" في تفسير قوله تعالى: {**عوان بين ذلك**}: وقد أجرى الضمير مجرى اسم الإشارة، قال رؤبة، " فيها خطوط من سواد وبلق" إلى آخر ما ذكرناه .

أقول: قال النحاة: إن "هو" ضمير منفصل مرفوع ولفظ "هو" في الحديث المذكور منصوب كما لا يخفى لكونه خبرا "لأكون" فظهر بذلك أن هذه القاعدة أغلبية إذ نطق بخلافها سيد الفصحاء صلى الله عليه وسلم، وما أولوا به من كون " أنا " مبتدأ و "هو " خبره، والجملة

من المبتدأ والخبر خبر كان بعيد كما لا يخفى، وكذلك غيره من التأويلات التي ذكروها، فثبت بالحديث والبيت المذكورين أن الضمير المتصل والمنفصل قد يكون كل منهما في اللغة العربية كاسم الإشارة، فإذا ثبت ذلك فلا يكون مخطئا من أشار بكلمة "هو" إلى المولى تبارك وتعالى؟ ألا ترى أن الإمام العلامة اللغوي النحوي أبا عبيدة معمر بن المثني اقتنع بجواب شيخه رؤبة ورضي بـ ـها، وكان رؤبة رأسا في اللغة كما قاله الذهبي في "سير أعلام النبلاء"(١). توفي رؤبة بن العجاج سنة خمس وأربعين ومائة، والعجاج لقب أبيه واسمه أبو الشعثاء عبد الله بن رؤبة وسمع أبوه من أبى هريرة رضي الله عنه، ووُلِدَ تلميذه أبو عبيدة سنة مائة وعشرة في الليلة التي توفي فيها الحسن البصري، وتوفي سنة ٢٠٩ وقيل: غيرها، وتآليفه تقارب كما في "وفيات الأعيان" لابن خلكان مائتى تصنيف، فهذان إمامان لغويان صرّحا بأن الضمير يستعمل كاسم الإشارة ووافقهما على ذلك كثير من العلماء الماهرين في اللغة كابن هشام وأبي حيان وغيرهما وهما حجة فى اللغة فلا بد من اتباعهما والأخذ بقولهما، فتحقق بذلك أنه يجوز في اللغة استعمال الضمير كاسم الإشارة، فثبت حينئذ أن إشارة الصوفية بكلمة "هو" إلى الله ليس بخارج عن المألوف المعروف في اللغة العربية، بل هو داخل فيه وإن كان لغة قليلة، وهذا ليس مما يستغرب، فَكَم من لفظ في فصيح الكلام يُعَد شاذا في القواعد اللغوية والنحوية، وهذا ظاهر معروف عند من له إلمام بعلوم الشريعة والعربية .

---

(١) ج٦ص١٦٢.

أقوال العلماء في هذه الكلمة المشرفة

اعلم أنه قد كثر كلام العلماء في لفظ "هو" فمنهم من قال: إنه اسم الله الأعظم، ومنهم من قال: إنه اسم من أسماء الله تعالى، ومنهم من قال: إنه اسم إشارة، فقال شيخ الإسلام الحافظ أبو الفضل ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري شرح صحيح البخاري": نقل الفخر الرازي عن بعض أهل الكشف أن اسم الله الأعظم "هو" واحتج له بأن من أراد أن يعبر من كلام معظم في حضرته لم يقل له أنت قلت وإنما يقول: هو يقول تأدبا معه اهـ. وقال العزيزي في " السراج المنير شرح الجامع الصغير": اختلف في تبيين اسم الله الأعظم في عشرين قولا، منها أنه "هو" نقله الإمام فخر الدين عن بعض أهل الكشف اهـ .

وقال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير "مفاتيح الغيب" في تفسير البسملة: اعلم أن لفظ "هو" فيه أسرار عجيبة وأحوال عالية، فبعضها يمكن شرحه وتقريره وبيانه وبعضها لا يمكن، وأنا بتوفيق الله كتبت فيه أسرارا لطيفة إلا أني كلما أقابل تلك الكلمات المكتوبة بما أجده في القلب من البهجة والسعادة عند ذكر كلمة "هو" أجد المكتوب بالنسبة إلى تلك الأحوال المشاهدة حقيرا، فعند هذا عرفتُ أن لهذه الكلمة تأثيرا عجيبا في القلب لا يصل البيان إليه، ولا ينتهي الشرح إليه، فلنكتب ما يمكن ذكره.

قلت: ثم ذكر فخر الدين أحد عشر فائدة نقتصر على ثمانية منها.

فمنها أنه قال: إن الرجل إذا قال: "ياهو" فكأنه يقول: من أنا حتى أعرفك، ومن أنا حتى أكون مخاطبا لك، وما للتراب ورب الأرباب،

وأي مناسبة بين المتولد عن النطفة والدم وبين الموصوف بالأزلية والقدم؟ فأنت أعلى من جميع المناسبات، وأنت مقدس عن علائق العقول والخيالات، فلهذا السبب خاطبه العبد بخطاب الغائبين فقال: "ياهو" .

ومنها أن هذا اللفظ كما دل على إقرار العبد على نفسه بالدناءة والعدم ففيه أيضا دلالة على أنه أقر بأن كل ما سوى الله تعالى فهو محض العدم، لأن القائل إذا قال: "ياهو" فلو حصل في الوجود شيئان لكان قولنا "هو" صالحا لهما جميعا، فلا يتعين واحد منهما بسبب قوله: "هو" فلما قال: "ياهو" فقد حكم على كل ما سوى الله بأنه عدم محض ونفي صرف، كما قال الله تعالى: كل شيء هالك إلا وجهه، وهذان المقامان في الفناء عن كل ما سوى الله مقامان في غاية الجلال، ولا يحصلان إلا عند مواظبة العبد على أن يذكر الله بقوله: "ياهو" .

ومنها أن العبد متى ذكر الله بشيء من صفاته لم يكن مستغرقا في معرفة الله تعالى لأنه إذا قال: "يا رحمن" فحينئذ يتذكر رحمته فيميل طبعه إلى طلبها فيكون طالبا للحصة، وكذلك إذا قال: " يا كريم يا محسن يا غفار يا وهاب يا فتاح" وإذا قال: "يا ملك" فحينئذ يتذكر ملكه وملكوته وما فيه من أقسام النعم فيميل طبعه إليه فيطلب شيئا منها، وقس عليه سائر الأسماء، أما إذا قال: "ياهو" فإنه يعرف أنه هو، وهذا الذكر لا يدل على شيء غيره ألبتة، فحينئذ يحصل في قلبه نور ذكره، ولا يتكدر ذلك النور بالظلمة المتولدة عن ذكر غير الله، وهناك يحصل في قلبه النور التام والكشف الكامل.

ومنها أن جميع الصفات المعلومة عند الخلق إما صفات الجلال وإما صفات الإكرام، أما صفات الجلال فهي قولنا ليس بجسم ولا بجوهر ولا عرض ولا في المكان ولا في المحل، وهذا فيه دقيقة، لأن من خاطب السلطان فقال أنت لست أعمى ولست أصم ولست كذا ولا كذا ويعد أنواع المعايب والنقصانات فإنه يستوجب الزجز والتأديب، ويقال: إن مخاطبته بنفي هذه الأشياء عنه إساءة في الأدب، وأما صفات الإكرام فهي كونه خالقا للمخلوقات مرتبا لها على النظم الأكمل، وهذا أيضا فيه دقيقة من وجهين، الأول لا شك أن كمال الخالق أعلى وأجل من كمال المخلوق بمراتب لا نـهاية لها، فإذا شرحنا نعوت كمال الله وصفات جلاله بكونه خالقا لهذه المخلوقات فقد جعلنا كمال هذه المخلوقات كالشرح والبيان لكمال جلال الخالق، وذلك يقتضي تعريف الكامل المتعالى بطريق في غاية الخسة والدناءة، وذلك سوء أدب، والثاني: أن الرجل إذا أخذ يمدح السلطان القاهر بأنه أعطى الفقير الفلاني كسرة خبز أو قطرة ماء فإنه يستوجب الزجر والحجر، ومعلوم أن نسبة جميع عالم المخلوقات من العرش إلى آخر الخلاء الذي لا نـهاية له إلى ما في خزائن قدرة الله أقل من نسبة كسرة الخبز وقطرة الماء إلى جميع خزائن الدنيا، فإذا كان ذلك سوء أدب فهذا أولى أن يكون سوء أدب، فثبت أن مدح الله وثناءه بالطريقين المذكورين فيه هذه الإعتراضات، إلا أن ههنا سببا يرخص في ذكر هذه المدائح، وهو أن النفس صارت مستغرقة في عالم الحس والخيال، فالإنسان إذا أراد جذبـها إلى عتبة عالم القدس احتاج إلى أن ينبهها على كمال الحضرة المقدسة، ولا سبيل له إلى معرفة كمال

الله وجلاله إلا بـ هذين الطريقين أعني ذكر صفات الجلال وصفات الإكرام، فيواظب على هذين النوعين حتى تعرض النفس عن عالم الحس وتألف الوقوف على عتبة القدس، فإذا حصلت هذه الحالة فعند ذلك يتنّبه لما في ذينك النوعين من الذكر من الإعتراضات المذكورة، وعند ذلك يترك تلك الأذكار ويقول: "ياهو" كأن العبد يقول: أُجِلّ حضرتك أن أمدحك وأثني عليك بسلب نقائص المخلوقات عنك أو بإسناد كمالات المخلوقات إليك، فإن كمالك أعلى وجلالك أعظم، بل لا أمدحك ولا أثنى عليك إلا بـ هويتك من حيث هي، ولا أخاطبك أيضا بلفظة "أنت" لأن تلك اللفظة تفيد التيه والكبر حيث تقول الروح إني قد بلغت مبلغا صرت كالحاضر في حضرة واجب الوجود، ولكني لا أزيد على قولي "هو" ليكون إقرارا بأنه هو الممدوح لذاته بذاته، ويكون إقرارا بأن حضرته أعلى وأجل من أن يناسبه حضور المخلوقات، فهذه الكلمة الواحدة تنبه على هذه الأسرار في مقامات التجلي والمكاشفات، فلا جرم كان هذا الذكر أشرف الأذكار لكن بشرط التنّبه لهذه الأسرار.

ومنها أنه قال في شرح جلالة هذه الكلمة: اعلم أن المقصود لا يتم إلا بذكر مقدمتين: المقدمة الأولى: أن العلم على قسمين: تصور وتصديق، أما التصور فهو أن تحصل في النفس صورة من غير أن تحكم النفس عليها بحكمٍ البتة لا بحكم وجودي ولا بحكم عدمي، وأما التصديق فهو أن يحصل في النفس صورة مخصوصة، ثم إن النفس تحكم عليها إما بوجود شيء أو عدمه، إذا عرفت هذا فنقول: التصور مقام التوحيد، وأما التصديق فإنه مقام التكثير، المقدمة. الثانية: أن التصور على قسمين تصور

يتمكن العقل من التصرف فيه، وتصور لا يمكنه التصرف فيه، أما القسم الأول: فهو تصور الماهيات المركبة، فإنه لا يمكنه تصور الماهيات المركبة إلا بواسطة استحضار ماهيات أجزاء ذلك المركب، وهذا التصرف عمل وفكر وتصرف من بعض الوجوه، وأما القسم الثاني فهو تصور الماهيات البسيطة المنـزهة عن جميع جهات تلك التركيبات فإن الإنسان لا يمكنه أن يعمل عملا يتوسل به إلى استحضار تلك الماهية، فثبت بما ذكرنا أن التصديق يجري مجرى التكثير بالنسبة إلى التصور، وأن التصور توحيد بالنسبة إلى التصديق، وثبت أيضا أن تصور الماهية البسيطة هو النهاية في التوحيد والبعد عن الكثرة، وإذا عرفت هذا فنقول: قولنا في الحق سبحانه وتعالى "ياهو" هذا تصور محض خال عن التصديق، ثم إن هذا التصور تصور لحقيقة منـزهة عن جميع جهات التركيب والكثرة، فكان قولنا "ياهو" نـهاية في التوحيد والبعد عن الكثرة، وهو أعظم المقامات.

ومنها أن الرجل إذا دخل على الملك المهيب والسلطان القاهر ووقف بعقله على كمال تلك المهابة وعلى جلال تلك السلطنة فقد يصير بحيث تستولى عليه تلك المهابة وتلك السلطنة فيصير غافلا عن كل ما سواه، حتى إنه ربما كان جائعا فينسى جوعه وربما كان به ألم شديد فينسي ذلك الألم في تلك الحالة، وربما رأى أباه أو ابنه في تلك الحالة ولا يعرفهما، وكل ذلك لأن استيلاء تلك المهابة عليه أذهله عن الشعور بغيره فكذلك العبد إذا قال: يا "هو" وتجلى لعقله وروحه ذرة من نور جلال تلك الهوية وجب أن يستولى على قلبه الدهشة وعلى روحه الحْيَرة، وعلى فكره الغفلة، فيصير غائبا عن كل ما سوى تلك الهوية

معزولا عن الالتفات إلى شيء سواها، وحينئذ لا يبقى معه في تلك الحالة إلا أن يقول بعقله "هو" وبلسانه "هو"، فإذا قال العبد: "هو" وواظب على هذا الذكر فهذا منه تشبه بتلك الحالة على رجاء أنه ربما وصل إلى تلك الحالة. فنسأل الله تعالى الكريم أن يسعدنا بـ ـها، قال: ومن فوائد هذا الذكر العالي ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من جعل همومه هما واحدا كفاه الله هموم الدنيا والآخرة. فكأن العبد يقول: همومي في الدنيا والآخرة غير متناهية، والحاجات التي هي غير متناهية لا يقدر عليها إلا الموصوف بقدرة غير متناهية ورحمةٍ غير متناهية وحكمةٍ غير متناهية، فعلى هذا أنا لا أقدر على دفع حاجاتي ولا على تحصيل مهماتي، بل ليس القادر على دفع تلك الحاجات وعلى تحصيل تلك المهمات إلا الله سبحانه وتعالى، فأنا أجعل همي مشغولا بذكره فقط ولساني مشغولا بذكره فقط فإذا فعلت ذلك فهو برحمته يكفيني مهمات الدنيا والآخرة.

ومنها أن العقل لا يمكنه الاشتغال بشيء حالة الاستغراق في العلم بشيء آخر، فإذا وجه فكره إلى شيء يبقى معزولا عن غيره، فكأن العبد يقول: كلما استحضرت في ذهني العلم بشيء فاتني في ذلك الوقت العلم بغيره، فإذا كان هذا لازما فالأولى أن أجعل قلبي وفكري مشغولا بمعرفة أشرف المعلومات وأجعل لساني مشغولا بذكر أشرف المذكورات، فلهذا السبب أواظب على قولي "يا هو".

ومنها أن الذكر أشرف المقامات، قال عليه السلام حكاية عن الله تعالى: إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملإ ذكرته في

ملإ خير من ملئه. وإذا ثبت هذا فنقول: أفضل الأذكار ذكر الله بالثناء الخالي عن السؤال، قال عليه السلام حكاية عن الله تعالى: من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، إذا عرفت هذه المقدمة فنقول: العبد فقير محتاج والفقير المحتاج إذا نادى مخدومه بخطاب يناسب الطلب والسؤال كان ذلك محمولا على السؤال، فإذا قال الفقير للغني: "يا كريم" كان معناه أكرم، وإذا قال له: "يا نفاع" كان معناه طلب النفع، وإذا قال: "يا رحمن" كان معناه ارحم، فكانت هذه الأذكار جارية مجرى السؤال، وقد بينا أن الذكر إنما يعظم شرفه إذا كان خاليا عن السؤال والطلب، أما إذا قال: "يا هو" كان معناه خاليا عن الإشعار بالسؤال والطلب فوجب أن يكون قولنا "هو" أعظم الأذكار، ولنختم هذا الفصل بذكر شريف رأيته في بعض الكتب، يا هو يا من لا هو إلا هو يا من لا إله إلا هو، يا أزل يا أبد يا دهر، يا ديهار يا ديهور، يا من هو الحي الذي لا يموت اهـ.

وذكر الإمام فخر الدين الرازي أيضا في كتابه "اللوامع البينات شرح أسماء الله الحسنى والصفات" أن لهذا الاسم هيبة عظيمة عند أرباب المكاشفات، وقال فيه: اختلف في الاسم الأعظم لله تعالى فقال قائلون: إن الاسم الأعظم لله تعالى قولنا: "هو" والقائلون بـهدا القول إذا أرادوا المبالغة في الدعاء قالوا: يا هو يا من لا هو إلا هو، وذكر فيها أسرارا معنوية ولطائف لفظية يستدل بـها على كون "هو" اسم الله الأعظم، فمما قال: اعلم أن هذا الاسم في غاية الشرف والجلالة في حق الحق سبحانه، ويدل عليه وجوه، ثم ذكر حججا منها قوله الاسماء المشتقة دالة

على الصفات ولفظ "هو" دال على الموصوف والموصوف أشرف من الصفة ولذلك قال المحققون: إن ذاته تعالى ما كملت بالصفات بل ذاته لغاية الكمال استلزمت صفات الكمال فلفظ "هو" يوصلك إلى ينبوع العزة والرحمة، وسائر الألفاظ يوصلك إلى الصفات، ومنها قوله اسماء الله تعالى المشتقة دالة على الصفات والصفات لا تعرف إلا بالإضافة إلى المخلوقات. فالقدرة هي الصفة التي باعتبارها يصح الإيجاد، والعلم هو الصفة التي باعتبارها يصح الإحكام والإتقان في الأفعال، فهذه الاسماء المشتقة لا يمكن معرفتها إلا مع معرفة المخلوقات وبقدر ما يصير العقل مشغولا بمعرفة الغير يصير محروما عن الاستغراق في معرفة الحق جل جلاله، وأما لفظ "هو" يدل عليه من حيث هو هو ولا حاجة في معرفته إلى الالتفات إلى اعتبار حال غيره فلفظ "هو" يوصلك إلى الحق ويقطعك عما سواه وسائر الاسماء المشتقة ليست كذلك، فكان لفظ "هو" أشرف وأعظم من سائر الأسماء، ومنها قوله: إن من أراد أن يعبر عن ملك عظيم قال: "هو" وإن كان حاضرا فلا يقال: أنت فعلت كذا بل هو فعل كذا، فدل هذا على أن هذا هو أعظم الكنايات انتهى ما أردت نقله من "لوامع البينات" وأطال الرازي رحمه الله الكلام على هذا المبحث ولولا خوف الإطالة والملل لذكرته كله.

وفي تفسير "روح البيان" للشيخ إسماعيل حقي البروسي في تفسير سورة طه: أن "هو" كناية غائب موجود، والغائب عن الحواس الموجود في الأزل هو الله تعالى، وفيه معنى حسن، وهو التعالى عن درك الحواس حتى استحق اسم الكناية عن الغائب عن غير غيبة، وعلى هذا المعنى بَني

الصوفية ذكرهم باسم "هو" إخفاء وجهرا اجتماعا وانفرادا مع أن مرجعه هو الله فيكون في حكم الاسم المظهر، ولا ينازع فيه إلا مكابر.
وقال أيضا في تفسير قوله تعالى: {**وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو**}: إن الأسماء على ضربين، اسم ظاهر، واسم ضمير، وكلمة "هو" اسم ضمير، وكونـها ضميرا لا ينافي كونـها اسما، وقد حقق الإمام في التفسير الكبير اسمّية هذه الكلمة فليراجع، وعند أهل الحقيقة كلمة "هو" اسم بحت لأن كل ما يدل على الذات الأحدية فهو اسم محض عندهم، سواء كان مظهرا أو مضمرا فاعرف هذا فإنه ينفعك. وقال أيضا في تفسير آية الكرسي: وحكي أن تسبيح قطب الأقطاب "يا هو، ويامن هو هو، ويا من لا إله إلا هو" فإذا قال ذلك بطريق الحال يقدر على التصرفات، قال ابن الشيخ في حواشي سورة الإخلاص: لفظ "هو" إشارة إلى مقام المقربين وهم الذين نظروا إلى ماهيات الأشياء وحقائقها من حيث هي هي، فلا جرم ما رأوا موجودا سوى الله لأن الحق هو الذي لذاته يجب وجوده، وأما ما عداه فممكن، والممكن إذا نُظِرَ إليه من حيث هو هو كان معدوما فهؤلاء لم يروا موجودا سوى الحق سبحانه، وكلمة هو - وإن كانت للإشارة المطلقة ومفتقرة في تعيين المراد بـها إلى سبق الذكر بأحد الوجوه- أو إلى أن يعقبها ما يفسرها إلا أنـهم يشيرون إلى الحق سبحانه ولا يفتقرون في تلك الإشارة إلى ما يميز الذات المرادة عن غيرها، لأن الافتقار إلى المميز إنما يحصل حيث وقع الإبـهام، بأن يتعدد ما يصلح لأن يشار إليه، وقد بينا أنـهم لا يشاهدون بعيون عقولهم إلا الواحد فقط، فلهذا السبب كانت لفظة هو كافية في حصول العرفان

التام لهؤلاء انتهى كلامه وإنما ذكرته هاهنا ليكون حجة على من أنكر على جماعة الصوفية في كلمة "هو" ذاهبا إلى أنـها ضمير ولا فائدة في الذكر به انتهى ما نقلته من تفسير "روح البيان" للشيخ إسماعيل حقي، المتوفى سنة ألف ومائة وسبع وثلاثين .

وقال الشيخ أحمد عبد الجواد في كتابه الذي ألفه في أسماء الله الحسنى(١): واعلم أن الضمير "هو" هو أعرف المعارف السبعة، قائم مقام اسم الله تعالى، وقد استفتح الله سبحانه وتعالى إحدى وثلاثين آية بـ"هو"(٢)، وكذلك استفتح الله سبحانه وتعالى ثلاثين آية بـ"وهو" (٣)

واعلم أن حروف اسم "الله" أحد عشر حرفا (ا.ل.ف)+(ل. ا. م) + (ل. ا. م) + (ه.ا) =١١، واسمه تعالى "هو" أحد عشر بالجمل (٤) .

وإذا علمت أن أسماء الله الحسنى لا تتقدم على اسم "الله" وأن الضمير "هو" يتقدم على اسم "الله" وعلى الأسماء كلها فاعلم أنك تحيا بـ"يا هو" فراقب وانتبه إذا انقسمت الهواء فإنما يدخل صدرك بـ" يا"

---

[١] ص٢٣٦.

[٢] وردت في البقرة مرة، وفي آل عمران مرتين، وفي الأنعام مرة، وفي الأعراف مرة، وفي التوبة مرة، وفي يونس أربع مرات، وفي الرعد مرة، وفي النحل مرة، وفي الأحزاب مرة، وفي فاطر مرة، وفي غافر أربع مرات، وفي الفتح مرتين، وفي الحديد ثلاث مرات، وفي الحشر أربع مرات، وفي الصف مرة، وفي الجمعة مرة، وفي التغابن مرة، وفي الملك مرة.

[٣] وردت في الأنعام عشر مرات، وفي الأعراف مرة، وفي هود مرة، وفي الرعد مرة، وفي النحل مرة، وفي الأنبياء مرة، وفي الحج مرة، وفي المؤمنين ثلاث مرات، وفي الفرقان خمس مرات، وفي القصص مرة، وفي الروم مرة، وفي الشورى مرتين، وفي الزخرف مرة، وفي الفتح مرة، وفي البروج مرة، اهـ قلت: لكن الذي عده واحد وثلاثون موضعا .

[٤] أي بحساب الجمل فإن الهاء فيه بخمسة، والواو بستة= أحد عشر.

الاستعانة، وإذا خرج الهواء فإنما يخرج بـ"هو" فحرّك قلبك وادع الله وقل: "يا هو يا الله" اهـ.

وفي "مطالع المسرات شرح دلائل الخيرات" للعلامة الفاسي قال شيخ شيوخنا أبو محمد عبد الرحمن في حاشية الحزب الكبير: إن لفظة هو عند القوم أي الصوفية اسم مستقل بمعناه، لا ضمير غيبة كما هو موضوع في أصله، بل نقل وصار العرف عندهم بإطلاقه على الله كسائر الاسماء الظواهر، ولذلك ساغ نداؤه وإدخال حرف "يا" عليه وليس هو عندهم ضمير غيبة فيعترض بأنه لم يسمع في كلام العرب إلا نداء ضمير الخطاب على خلاف فيه، وقال الفاسي: قال الشيخ زرّوق في تعليقه على الحزب الكبير: قوله يا من هو، معناه الذي لا يمكن أن يشار إلا لجلاله وعظمته، وللناس في هذا الإطلاق بحث وإنكار على الصوفية، والتحقيق أن إطلاقه في مقام التعظيم لا بأس به لأهله وفي غيره إساءة أدب انتهى باختصار.

وقال النبهاني في حاشيته على "دلائل الخيرات": لفظ "هو" اسم من أسماء الله اهـ.

وقال الخضري في حاشيته على "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك" في باب المنادى: وأما حديث يا هو، يا من لا هو إلا هو، فلفظ "هو" في مثله اسم للذات العلية.

ونقل الإمام الفاسي في "مطالع المسرات" عن صاحب التحبير أنه قال: اعلم أن هذا الاسم يعني "هو" موضوع للإشارة عند الطائفة الصوفية، فإذا قلت: "هو" فلا يسبق إلى قلوبـهم غير ذكر الحق جل جلاله.

وقال الشيخ عبد الرحيم البرعي:

قف بالخضوع وناد ربك ياهو   إن الكريـم يجيب من نـاداه

وفي كتاب "تاريخ الأدب العربي" بعد إيراده أبيات الشيخ البرعي أن الشيخ عبد الرحيم البرعي يستخدم كلمة "هو" في التعبير عن الذات الإلهية وهو استعمال مألوف عند الصوفية فيهتفون "هو هو " بسكون الواو، وكأن كل ما في الوجود يغيب عنهم ما عدا الله وهم يجهرون بكلمة "هو" كأنـها تُعَيِّنُه وحده دون سواه مع عرفانـهم به وبربوبيته انتهى بمعناه .

استعمال الصوفية بلفظة "هو" في أورادهم ورياضات نفوسهم

اعلم أن كون لفظة "هو" من الأذكار والأوراد مشهور مستفيض عند الطائفة الصوفية قدس الله أسرارهم وذلك في كتبهم مشحون، ففي كتاب " لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي الحسن الشاذلي" لابن عطاء الله أن في الحزب الكبير للشيخ الشاذلي: يا الله يا رحمن يا قيوم يا من هو هو هو يا هو إن لم نكن لرحمتك أهلا أن ننالها فرحمتك أهل أن تنالنا إلى آخره.

وفي حزب البر لأبي الحسن الشاذلي: يا نعم الـيب، يامن هو هو هو في علوه قريب يا ذا الجلال والإكرام. وفي حزب الشيخ أبي العباس المرسي كما في لطائف المنن: يا حي يا قيوم يا رحمن يا من هو هو هو ياهو إلى آخره .

وفي كتاب "الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية": إن من أوراد الطريقة القادرية لفظ "هو" وأنه ورد أصحاب النفوس الملهمة وعدده خمسون ألفا. وقال العارف بالله العلامة الدرديري الخلوتي الطريقة رحمه الله: النفوس سبعة بحسب أوصافها وإلا فهي واحدة وهي الأمارة واللوامة والملهمة والمطمئنة والراضية والمرضية والكاملة، واختار السادة الخلوتية أسماء سبعة لهذه السبعة وهي لا إله إلا الله، الله، هو، حق، حي، قيوم، قهار اهـ.

وقال سيدي العارف بالله الأحمدي الطريقة الشيخ الصالح الجعفري في "المنتقى النفيس في مناقب قطب دائرة التقديس سيدي أحمد بن إدريس": إن ورد صاحب النفس الملهمة "هو هو" وهو ذكر عظيم الشأن .

فتبين لك مما تقدم أن لفظ "هو" ورد صاحب النفس الملهمة عند الطائفة الصوفية، وذكر لي من أثق به أن جماعة سيدي الشيخ علي ميه المركي كانوا يقولون في حضرة ذكرهم في وقت السحر "هو يا هو" فتدنو إلى رؤسهم سحابة بيضاء فتصب لهم لبنا خالصا فتشرب منه الجماعة الحاضرون في الحلقة. ورأيتُ في القاهرة عاصمة مصر سنة ١٤٠٣هـ جماعة سيدي الشيخ صالح بن محمد الجعفري يقرءون في حلق ذكرهم الأوراد المسماة بكنز السعادة لسيدي أحمد بن إدريس، وفيها هذا الاسم "هو" فيكررونه ويجهرون به جهرا بليغا.

وفي "الفيض القدير شرح الجامع الصغير" ما حاصله: قال ابن عربي: وقد جعل أهل الله "هو" من ذكر خصوص الخصوص لأنها أعرف من اسم الله في أصل الوضع لأنها لا تدل إلا على الذات المضمرة من غير اشتقاق، وإنما غلبوها على سائر المضمرات والإشارات نحو أنت وذا لكونها ضمير غيب، فرأوا أن الحق تعالى غيب مطلق من تعلق العلم بحقيقته، فقالوا: حقيقة "هو" ترجع إلى هويته التي لا يعلمها إلا هو، وفي موضع آخر من "فيض القدير" أن من داوم كل يوم ألف مرة صيغة يا الله يا هو رزقه الله كمال اليقين اهـ.

وقال الإمام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي صاحب التفسير المشهور في كتابه "الأسنى"(١): الفصل الخامس والثلاثون: أقوال أهل الإشارات فى الأسماء والصفات.

---

(١) ص ١١٩.

قال أهل الفهوم والإشارات الذين تكلموا على الأسماء والصفات: إن أسماء الله التسعة والتسعين فى الأثر الصحيح هي الأسماء الظاهرة الذين تعبد الخلق باحصائها، لأن ذلك فى وسعهم بالكسب والبحث والنظر، ووراء هذه التسعة والتسعين أسماء هي مختصة بالأنبياء والأولياء ولايوصل إليها بكسب وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء، ووراء ما علمه الأنبياء والأولياء ما لا يعلمه إلا الله عز وجل على ما ورد فى الحديث: "أو استأثر نفسه به فى علم الغيب عنده" .

فالأولياء اختصوا من علم الأسماء بمزيد على النظار من العلماء بثلاثة أشياء:-

أحدها: أنـهم فهموا من معاني الأسماء التسعة والتسعين بالتأييد والإلهام ما لم يعلمه أولئك بالنظر والبرهان .

الثانى: أنـهم علموا أسماء باطنة وراء هذه التسعة والتسعين .

الثالث: أنـهم اختصوا بالاطلاع على اسم الله الأعظم الذي ورد فى غير ما حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما الأنبياء، فإنـهم علموا من معاني الأسماء التسعة والتسعين بنور الوحي ما لم يعمله الأولياء بالإلهام، وكذلك علموا من علوم الأسماء الباطنة، ومن علم الاسم الأعظم .

وكل اسم من هذه الأسماء لايعلمه على ماهو عليه إلا الذي تسمي به واتصف بمعناه وهو الله وحده .

ووراء هذه الأسماء كلهاالتى علّمها الله تعالى أنبياءَه وأولياءَه ما استأثر الله به فى علم الغيب عنده فلم يطلع عليها نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا .

قالوا: فأول ما يخص الله العبد إذا أراد أن يتولاه ويعلمه العلم اللدني فيكون وليا أن يخصه من علوم التسعة والتسعين اسما بخصائص يتفتح له بها من العلم ما لا يتفتح للعالم بطريق النظر، ثم يرقيه إلى معرفة الأسماء الباطنة. وأولها "هو": وهو اسم مركب من حرفين موضوع للإشارة إلى هويته التى ترجع إليه الأسماء الباطنة والظاهرة كلها كما رجعت الأسماء الظاهرة إلى "الله" وبعد معرفة "هو" يعلم الأسماء الباطنة والظاهرة التى هي حروف مفردة بعلمه وهي الأربعة عشر حرفا . الواردة فى القرآن فى فواتح السور .

وبعد فهمها يهبه الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وإنما يأخذ(١) ذلك الاسم الأعظم من الخضر فى غالب أحوال الأولياء، وقد يتلقاه بإلهام يقذف فى الروع عند هبوب رياح الرحمة على العبد، وطريق أخذه فى الأولياء مختلف، وعند ذلك تطوي له الأرض ويمشي على الماء ويعوم فى الهواء وتقلّب له الأعيان، إلى غير ذلك من الكرامات التى اختص بـها الأولياء .

قالوا: وهذا كله ليس بعلم صحف إنما هو خصوص بين الإنسان وبين ربه فمن أطلعه الله عليه علمه.

قالوا: ولكل حرف من هذه الحروف أي الأربعة عشر معنى وسِرٌ إذا أطلع الله عليه العبد نال كرامة من لدنه، وهي كلها مراق إلى لقاء الخضر المعلم للاسم الأعظم. وقد صح في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم

---

١ الضمير يعود إلى العبد المذكور أي الذي أراده الله أن يتولاه.

أنه قال لأصحابه: إذا لقيتم العدوّ غدا فشعاركم حم لا ينصرون(١)، فـ"حم" من الأسماء الباطنة المخزونة، ومن اتصل بنوره خرق الله له عوائد ونال من أسراره فوائد. وطولُوا الكلام في هذه الحروف الأربعة عشر حرفا .

وقال القرطبي أيضا في "الأسنى"(٢): **هو جل جلاله وتقدست أسماؤه** ذكره بعض العلماء فى شرح الأسماء، وجعله اسما من أسمائه تعالى .

قال الأقليشي: وهذا لم يرد فيه أثر ولاهو من الأسماء التامة فى لسان العرب بل هو اسم يحتاج إلى صلة وعائد ليكون مفيدا، لأنك إذا قلت "هو" وسكتّ لم يكن الكلام مفيدا حتى تقول: هو أخي أو هو قائم، أو ما أشبه ذلك. لكن أرباب القلوب الصافية وأهل المقالات العالية جرت عندهم هذه الكلمة مجرى الأسماء الذاتية فقالوا: "ياهو" كما قالوا: "يالله".

قال منصور بن عبد الله: الهاء تنبيه عن معنى ثابت والواو إشارة إلى من لا تدرك حقائق نعوته وصفاته بالحواس.

وقال بعضهم: إن الله كاشف الأسرار بقوله: "هو" وكاشف القلوب بما عداه من الأسماء .

---

[1] قال مخرج أحاديثه الشيخ الشحات الطحان: صحيح لغيره أخرجه النسائي في "عمل اليوم والليلة" وأحمد في المسند والحاكم والبيقي في السنن الكبرى، وغيرُهم

[2] ص٣٦٥ .

قال الأقليشي: وهذه كلها إشارات الأولياء وهي خارجة عن ظاهر العلم الحاصل بطريق النظر للعلماء، وإنما حصل لهم هذا بطريق الاختصاص عند الصفاء التام والإخلاص فيه .

وفي "الأسنى" أيضا(١) قال ابن فورك: إن كلمة هو مركبة من حرفين الهاء وهي من حروف الحلق، والواو وهي من حروف الشفتين والحلق أول مخارج الحروف، والشفتان آخرها، فدل ذلك على أن منه المبدأ وإليه المنتهى، وكأنه يشير إلى أن كِلا طرفي الأمور بيده وهو الأول والآخر اهـ

وقال الشيخ العلامة النحوي اللغوي المفسر أبوحيان في تفسيره "البحر المحيط" في تفسير قوله تعالى وهو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا: ولهؤلاء المنسوبين إلى علم الحقائق وإلى التصوف كلام غريب بالنسبة لمعقولنا رأيت أن أذكره هنا ليقع الذكر فيه، قالوا أسماء الله تعالى على ثلاثة أقسام مظهرات، ومضمرات، ومستترات، فالمظهرات أسماء ذات وأسماء صفات وهذه كلها مشتقة وأسماء الذات مشتقة وهي كثيرة وغير المشتق واحد وهو الله، وقد قيل: إنه مشتق، والذي ينبغي اعتقاده أنه غير مشتق بل اسم مرتجل دال على الذات ، وأما المضمرات فأربعة "أنا" في مثل "الله لاإله إلا أنا" و" أنت" في مثل {**لا إله إلا أنت سبحانك**} و"هو " في مثل {**هو الذي خلق لكم**} و"نحن " في مثل {**نحن نقص عليك**} قالوا: فإذا تقرر هذا "فالله" أعظم أسمائه المظهرات الدالة على الذات، ولفظة "هو" من أعظم اسمائه المظهرات والمضمرات للدلالة على

---

(١) ص٣٥٢ و ص٣٦٥.

ذاته، لأن اسماءه المشتقة كلها لفظها متضمن جوازا الإشتراك لاجتماعها في الوصف الخاص ولا يمنع أن يكون أحد الوصفين حقيقة والآخر مجازا من الاشتراك، و"هو" اسم من أسماء الله تعالى ينبئ عن كنه حقيقته المخصوصة المبرأة عن جميع جهات الكثرة من حيث هوهو، فلفظة "هو" توصلك إلى الحق وتقطعك عما سواه، فإنك لابد أن يشترك مع النظر في معرفة ما يدل عليه الاسم المشتق النظر في معرفة المعنى الذي يشتق منه، وهذا الاسم لاجل دلالته على الذات ينقطع معه النظر إلى ما سواه، واختاره الجلة من المقربين مدارا لذكرهم ومنارا لكل أمرهم فقالوا: "ياهو" لأن لفظة "هو" إشارة بعين المشار إليه بشرط أن لا يحضر هناك شيء سوى ذلك الواحد، والمقربون لا يخطر في عقولهم وأرواحهم موجود آخر سوى الذي دلت عليه إشارته.

وهو اسم مركب من حرفين وهما الهاء والواو، والهاء أصل والواو زائدة بدليل سقوطها في التثنية والجمع في هما وهم. والأصل حرف واحد يدل على الواحد الفرد انتهى ما نقل عن بعض من عاصرناه في "هو" بالنسبة إلى الله تعالى مقررا لما ذكروه ومعتقدا لما حبروه، ولهم في لفظة أنا وأنت وهو كلام غريب جدا بعيد عما تكلم عليها به أهل اللغة والعربية، انتهى ما نقلناه من كلام أبي حيان .

الخلاصة

لقد تبين مما ذكرناه ونقلناه عن كثير من المفسرين والمحدثين والفقهاء والصوفية أن "هو" اسم من أسماء الله تعالى في عرف الصوفية واصطلاحهم، وإذا تقرر هذا فاعلم أنه لا مشاحة في الاصطلاح كما لايخفي على من له إلمام في العلم ولا يلام قوم على وضع اصطلاح لهم وإن كان مخالفا لاصطلاح آخرين، فالصلاة عند اللغويين الدعاء، قال تعالى: {**وصل عليهم**}، أي أدع لهم، وعند الفقهاء أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم، والوقص عند الفقهاء اسم للمال الزكوي الذي بين النصابين، وعند العروضيين نوع من أنواع الزحاف المعروف لديهم، والفاعل والمفعول في لسان علماء الشرع من يعمل عمل قوم لوط فلا يسبق إلى فهمهم لدى سماع ذلك إلا هذا الفعل الذميم، وفي عرف النحاة هما اسمان يقع من أولهما الفعل ويقع على الثاني منهما، وعند الصوفية الفاعل هو الله جل جلاله، فلا يتبادر لكل طائفة منهم عند سماع ذلك إلا ما كانت تستعمله بـ ـهذه الألفاظ فاتحاد الألفاظ، وتباين الإرادات مشهور، فالصوفي عند سماعه كلمة "الفاعل" لا يخطر بباله إلا موجد الأشياء وفاعلها حقيقة تبارك وتعالى، فقد سأل بعض طلبة العلم امتحانا الشيخ الإمام والسيد الهمام سيدي أويس بن محمد ناشر الطريقة القادرية وحامل لوائها في أراضي الصومال عن إعراب "عبد الله" فقال ارتجالا: عبد مفعول والله فاعل، فظن السائل أن الشيخ أخطأ في الجواب، وأخبر ذلك لعالم بلدة مقديشو وحبرها الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الشاشي المعروف "بالشيخ صوفي" فقال: إن الشيخ أصاب وأجاد وإنه

من أهل الحقيقة، والنحوي إذا لم يطرق باب فن الحديث وسمع حديث أقتلوا الفاعل والمفعول، قد تحمله قلة معرفته الاستبعاد والاستغراب فيقول بدون تأن وترو: ليس من المعقول قتل الفاعل والمفعول فيجره ذلك إلى إنكار الحديث ونبذه فيهلك وهو من المحسنين بزعمه، لهذا قال العلماء: لا ينبغي لأحد أن يطالع كتب الصوفية قبل معرفته باصطلاحاتـهم، إذ قد يفهم من عباراتـهم غير ما أرادوا بـها فيغتر بذلك ويتمسك بظاهرها أو يسيء الظن بـهم فيبغضهم .

فلا يخفى على أهل العلم أن أهل الفنون يختلفون كثيرا في المفهوم من الألفاظ العربية وهذا واضح جلي فقد يَعترضُ صاحب الفن إذا سمع كلمة يستعملها صاحب فن آخر في معناها المعروف عنده كما اعترض من لا يعرف اصطلاحات الصوفية عليهم بكلمة "هو" وغيرها فمن الظاهر الجلي أن علماء الهندسة عند سماع لفظ " الأشكال" يتصورون في نفوسهم الشكل المربع والمستطيل ونحوهما والمنطقي يقع في ذهنه عند ذكر هذا اللفظ واحد من الأشكال الأربعة المعروفة في المنطق، وإذا سمع صاحب فن القراءة لفظ "الفتحة" يفهم منه الفتحة المقابلة للإمالة فقول القراء اقرأ هذه الكلمة بالفتحة معناه لا تقرأها بالإمالة، وهذا خلاف ما تفهمه النحاةُ عن الفتحة من أنـها حركة من حركات الإعراب، بل قد تختلف اصطلاحات أهل الفن الواحد باختلاف الأبواب كالنحاة تقول في باب الإعراب: المفرد ما ليس مثنى ومجموعا الخ، وفي باب المبتدأ والخبر: المفرد ماليس جملة ولا شبيها بالجملة، وفي باب "لا" و"المنادى" المفرد ماليس مضافا ولا شبيها بالمضاف.

فالحاصل أن الطعن والاعتراض لا بد أن يكون له أساس وأسباب، وذلك لا يخلوا إما أن يكون من الشريعة أو اللغة أو العرف، فأما العرف فقد علمت أن لفظ "هو" في عرف الصوفية اسم من أسماء الله تعالى فاستعمال هذا اللفظ لهذا المعنى حقيقة عرفية. والحقائق عند أهل العلم ثلاثة حقيقة لغوية وحقيقة شرعية وحقيقة عرفية، وعبارة "جمع الجوامع" للتاج ابن السبكي وشرحه للمحقق الجلال المحلي(١): الحقيقة لفظ مستعمل فيما وضع له ابتداء وهي لغوية وعرفية وشرعية. والمجاز: اللفظ المستعمل فيما وضع له لغة أو عرفا أو شرعا بوضع ثان اهـ.

فلا يخفى أن استعمال لفظ "هو" اسما من اسماء الله تعالى وضع أوَليٌّ لاثانوي، فهو حقيقة عرفية عند الصوفية وليس بمجاز أصلا، فنقدك على الصوفية في هذه الحقيقة العرفية يستلزم بل يستوجب نقدك في جميع الفنون وأصحابـها في اصطلاحاتـهم التي هي حقيقة عرفية عندهم، فالفاعل والمفعول حقيقة عرفية عند النحاة، فهل ترى نقدك عليهم في اصطلاحهم هذا وغيره صوابا؟ وأما اللغة فلا مدخل لها على جواز اطلاق لفظ "هو" على الله تبارك وتعالى وامتناعه، لأنّ البحث عن الأحكام الخمسة الوجوب والحرمة والندب والكراهة والإباحة وظيفةُ الفقه، ونقطة بحثنا هنا في جواز إطلاق ذلك على المولى أو حرمتها وموضع بحث ذلك في فن الفقه، وللمسألة اتصال بفن العقيدة لأنه الباحث عن أسماء الله تعالى وصفاته. وسأنقل عنه ما قدره الله ويسره لنا.

---

(١) ج١ص٣٠٥.

وأما الشريعة فساحتها واسعة، وما جعل الله علينا في الدين من حرج، فهي تسمح لكل طائفة أن تضع اصطلاحات لها، وتستعمل الألفاظ على مدلولات خاصة بـهم، وتستخدم بكلمات على معان معلومة لهم، يتعاملون بـها فيما بينهم، فلا تأبي الشريعة تسمية النحاة ببعض الكلمات فعلا وفاعلا أو مبتدأ وخبرا، ولا تسميةَ المناطقة ذلك موضوعا ومحمولا، ولا تسمية علماء المعاني ذلك أيضا مسندا إليه ومسندا، فكيف تمنع شريعتنا السمحاء أن يكون لفظ "هو" عبارة عن الذات العلية، وقد كان ذلك اصطلاحا للطائفة الصوفية قدس الله أسرارهم، كما كانت للطوائف المذكورة اصطلاحات خاصة بـهم.

فإن قيل: إن أسماء الله تعالى توقيفية كما قال اللقاني في الجوهرة:

وعنـدنا أسمـاءه العظيمـة كـذا صفات ذاته قـديمـة
واختيـر أن أسماءه توقيفيـة كذا الصفات فاحفظ السمعية

فكيف تسمى الله تبارك وتعالى باسم لم يسم به نفسه ولا سّماه به رسوله صلى الله عليه وسلم؟ أقول: قد ورد إطلاق هذا اللفظ على المولى تبارك وتعالى كما في حديث عليّ رضي الله عنه "لا إله إلا الله كلامي وأنا هو"، وكالحديث الذي أشار إليه الخضري، وإن فرضنا عدم ورود دليل على ذلك فالظاهر أن قول الصوفية: إن "هو" اسم من أسمائه تعالى لا يريدون به أنه اسم لله وضعا لغويا أو شرعيا، وإنما يريدون به كما يعلم من تتبع عباراتـهم أنه اسم يدل في عرفهم الخاص بـهم على المعبود بحق، فهي دلالة عرفية إشارية رمزية .

لطيفة

استخدام الصوفية بالرموز مستفيض مشهور، ففي "الحاوي للفتاوي" للحافظ السيوطي(١) أنه سئل عن قول الشيخ أبي العباس المرسي في حزبه: "ق، ج" سِرّان من سِرّك وكلاهما دالان على غيرك، فبالسّرّ الجامع الدال عليك لا تدعني لغيرك إنك على كل شيء قدير.

الجواب: قوله "ق،ج، سران من سرك" الظاهر والله أعلم أنه أخذ هذين الحرفين من وصفين من صفاته تعالى كما هو رواية من ابن عباس في أوائل السور " آلم، وطس، وق، ون، وص" أنها حروف مقطعة من أسماء الله تعالى، وفي رواية أنها الاسم الأعظم، وعن الشعبي أنها من أسرار الله تعالى، فالقاف مأخوذ من قدير أو مقتدر، والجيم من الجواد.

وقوله: "وكلاهما دالان على غيرك يحتمل أمرين:-

أحدهما: أن المراد لهما تعلق بالغير فإن القدرة تتعلق بمقدور، والاقتدار بمقدور عليه والجود بمتفضل عليه.

الثاني: أن المراد أنه يجوز شرعا أن يوصف بهما غيره تعالى ولذا قال عقبه: فبالسّرّ الجامع الدال عليك أي بالاسم الخاص بك وهو "الله" فإنه لا تعلق له بالغير، ولا يجوز أن يسمى به غيره تعالى، وهو الاسم الأعظم فيما روي عن غير واحد من السلف، وهو الدال على الذات، وهو الجامع لجميع الصفات بخلاف سائر الأسماء فإنها خاصة بالوصف بمدلولها، وقوله: لا تدعني لغيرك بل اجعلني لك عبادتي ودعائي وخوفي ورجائي وتوجهي وحركاتي وسكناتي هذا ما ظهر اهـ

---

(١) ج٢ص٤٤٦.

ثم ذكر السيوطي رحمه الله أجوبة أخرى لبعض العلماء وهي مغايرة لجوابه والعلم عند الله تعالى، وهذا يشبه قول العلماء: إن معاني الكتب السماوية في القرآن ومعانيه في البسملة إلخ، وعبارة "نـهاية المحتاج إلى شرح المنهاج" لشمس الدين الرملي قد ورد أن الله تعالى انزل مائة كتاب وأربعة كتب، وأنه أودع ما فيها في أربعة في القرآن والتوراة والإنجيل والزبور، وأودع ما فيها في القرآن، وأودع ما في القرآن في الفاتحة، وأودع ما في الفاتحة في بسم الله الرحمن الرحيم، بل قيل: إنه أودع ما فيها في الباء وما في الباء في النقطة (١) اهـ.

وقال علي الشبراملسي في حاشيته على " النهاية": لأن الباء أشارة إلى "بي ما كان وبي ما يكون" ولأن النقطة أشارة إلى وحدته تعالى اهـ. هذا ما قاله الشبراملسي، والذي كنت أسمعه مرارا في الدرس من أستاذي العلامة الشيخ عبد الله بن الشيخ داود رحمه الله تعالى (٢) أن معنى الباء: بي كان ما كان وبي يكون ما يكون، وهذا يشبه أيضا قول المحدثين "ح" لتحويل الإسناد إلى إسناد آخر إذ ليس معنى الحاء الوضعي "التحويل" بل لامعنى لها وحدها، فدلالتها "التحويل" رمزي كدلالة الباء والنقطة من بسم الله على تلك المعاني الكثيرة، واستعمال أصحاب الفنون بالحروف على مدلولات خاصة بـهم شائع مستفيض كاستعمال المحدثين بـ"أنا، وثنا" عبارة عن أنبأنا وحدثنا وأخبرنا ونحو ذلك وكثر استعمالهم "ق"

---

[١] والمراد منها أول ما يكتبه القلم عند وضعه على الورقة ونحوها لا النقطة التحية التي تميز الباء عن التاء المثناة والثاء المثلثة .

[٢] توفي الأستاذ عليه سحائب الرحمة والرضوان ضحوة الجمعة الثالث عشر من شعبان سنة ألف وأربعمائة وستة عشر عن ستة وثمانين سنة ١٤١٦/٨/١٣هـ.

رمزا للحديث الذي اتفق عليه الشيخان، وكذلك صح "وح، وض" إشارة إلى الصحيح والحسن والضعيف، ومثل ذلك بعض النساخين يكتبون "ض،خ" يعنون بذلك ضلت نسخة، وهذا كثير معروف، فالصوفية إذا سمعوا لفظ "هو" أو نطقوا به في حضرة ذكرهم أو في حلق مذاكرتهم ومحاوراتهم فيما بينهم يفهمون منه فهما ذهنيا وذوقيا ذلك المقصود ولا يخطر ببالهم في هذه الحالات إلا ذو العظمة والكبرياء جل جلاله.

وأما إذا كانوا في الفنون الأخرى فإنهم كأهلها يفهمون من هذا اللفظ ما يفهمه منه أهل ذلك الفن، فإذا كان الصوفي في فن اللغة أو النحو يفهم أن "هو" ضمير غيبة ولا يقع في قلبه غير هذا المعنى، ولا يخفى أن اللغوي مثله في هذا، فإنه يترك كثيرا من مفهومه اللغوي إذا كان في الفنون الأخرى ويفهم من عبارتها ما يفهم منها أصحابها وإن كان بعيدا ممّا كان يستعمله إذا كان في فنه، وهكذا أصحاب الفنون الأخرى. فتحصّل أنه من الضروري أن يكون للشخص فهم لغوي إذا كان في ساحة اللغات وفهم نحوي إذا كان في مباحث النحو وأبوابها وكذلك يكون له فهم صوفي لدى قيام حضرة هذه الطائفة ومطالعة كتبها فباختلاف الفنون وتَنوعِها تختلف المفهومات اللفظية، فكل مقام له مقال، وكل فن له رجال، ولله في خلقه شئون يخفض أقواما ويرفع آخرين، فترى أحدهم صاحب فنون كثيرة فيكون من المفسرين والمحدثين والفقهاء والصوفية واللغويين وغيرهم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فيعطي لكل مقام مقاله، ولكل فن حقوقه، وترى آخر لعبت به شهواته وشيطانه لعب

الصبي بكرته، قاده جهله إلى كل واد فيه هلاكه، فتكثر سقطاته وهفواته، فيرمي البريء من العلماء بكل رذيلة، وينسب إلى الصالحين كل خصلة ذميمة، وما ذاك إلا من جهله عن مواقع العبارات، وموارد الكلمات، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وإن لم تقتنع بـهذا الذي ذكرته ولم يسكن قلبك بـهذا الذي رأيَته أقول لك بعد إرخاء العنان: اعلم أن قول اللقاني: واختير أن اسماءه توقيفية، يفهم منه أن المسألة خلافية وهو كذلك ولكن ينبغي أن تعلم أولا هل هي فقهية أو اعتقادية؟ فإن أدلة الفقه ظنية فيكفي فيها الحديث الصحيح أو الحسن بلا شرط التواتر وكذلك القياس بل يكفي الضعيف في بعضها فقد اتفقوا على جواز العمل بالضعيف في فضائل الأعمال، وأما الأدلة الاعتقادية فهي قطعية وهي القرآن والحديث بشرط كونه متواترا والإجماع، وصرّح حجة الاسلام الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في كتابه "المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى"(١) أن المسألة فقهية لأن الخلاف في إباحة إطلاق اللفظ وتحريمه. والغزالي إمام في الفقه وأصوله والتصوف وأصول الدين، وتبعه على ذلك ابن حجر الهيتمي في "تحفة المحتاج بشرح المنهاج" فقال في شرح قول المصنف "الجواد" ما معناه: إن اختراع اسم أو صفة لله تعالى من العمليات التي يكفي فيها الظن لا الاعتقاديات، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري شرح البخاري" في شرح حديث أنه كان صلى الله عليه وسلم يحلف لا

---

(١) ص١٦٦.

ومقلب القلوب: في هذا الحديث حجة لمن أجاز تسمية الله تعالى بما في الخبر وإن لم يتواتر .

والحاصل أن الأقول في هذه االمسئلة أربعة:-

الأول: هو منع إطلاق لفظ لم يرد من الشارع في حق الله تعالى وإلى هذا ذهب الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى فلا يجوز عنده أن يطلق في حق الله تعالى ما هو موصوف بمعناه إلا إذا أذن فيه الشارع وصحح النووي ذلك أيضا كما في "التحفة" وتبعه على ذلك الرملي في "النهاية" والهيتمي في "التحفة" وعبارته فيها: واسماؤه تعالى توقيفية على الأصح، فلا يجوز اختراع اسم أو وصف له تعالى إلا بقرآن أو خبر صحيح مصرح به لا بأصله الذي اشتق منه فحسب. أي بشرط أن لا يكون ذكره لمقابلة كما هو ظاهر نحو قوله تعالى: {**أم نحن الزارعون**}، {**والله خير الماكرين**}، وقول الحليمي يستحب لمن ألقى بذرا في أرض أن يقول الله الزارع والمنبت والمبلغ إنما يأتي في الثلاثة على المرجوح أنه لا يشترط فيما صح معناه توقيف اهـ

وكالحديث الصحيح فيما ذكر الحديث الحسن كما نقل الشبراملسي عن الهيتمي في " شرح الأربعين".

الثاني: أن إطلاق اسم أو صفة في حق الله تعالى جائز إذا لم يشعر ذلك بما يستحيل معناه على الله تعالى ولم يمنع منه الشرع ولا يتوقف إطلاق ذلك على إذن الشارع، قال الغزالي في "المقصد الأسنى": وإلى هذا مال القاضي أبوبكر محمد بن الطيب الباقلاني.

وفي التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي: اختلف العلماء في أن أسماء الله تعالى توقيفية أم اصطلاحية، فقال بعضهم: لا يجوز اطلاق شيء من الأسماء والصفات على الله تعالى إلا إذا كان واردا في القرآن والأحاديث الصحيحة، وقال آخرون: كل لفظ دل على معنى يليق بجلال الله وصفاته فهو جائز وإلا فلا، واحتج القائلون بأنه لا حاجة إلى التوقيف بوجوه:

١. أن أسماء الله وصفاته مذكورة بالفارسية والتركية والهندية، وإن شيئا منها لم يرد في القرآن ولا في الأخبار مع أن المسلمين أجمعوا على جواز اطلاقها.

٢. أن الله تعالى قال: {**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بـها**} والاسم لا يحسن إلا لدلالته على صفات المدح ونعوت الجلال، فكل اسم دل على هذه المعاني كان اسما حسنا، فوجب جواز اطلاقه في حق الله تعالى تمسكا بـهذه الآية.

٣. أنه لا فائدة في الألفاظ إلا رعاية المعاني، وإذا كانت المعاني صحيحة كان المنع عن اطلاق اللفظة المعينة عبثا اهـ.

الثالث: التوقف وهو رأى إمام الحرمين.

الرابع: التفصيل وهو: جواز اختراع وصف له تعالى إذا لم يوهم ما لا يليق بعظمته وجلاله تعالى، ومَنْعُ إطلاق اسم على الله تعالى إلا بتوقيف من الشارع وهذا التفصيل للغزالي، فقد قال في "المقصد الأسنى"(١): المختار عندنا أن نفصّل ونقول: كل ما يرجع إلى الاسم فذلك موقوف على الإذن، وما يرجع إلى الوصف فذلك لا يقف على الإذن، بل

---

(١) ص١٦٤.

الصادق منه مباح دون الكاذب. ثم قال بعد كلام طويل: وعلى الجملة هذه مسئلة فقهية إذ هي نظر في إباحة لفظ وتحريمه، فنقول: إنما قلنا بإباحة الوصف لأنه خبر عن أمر، والخبر ينقسم إلى صدق وكذب، والشرع قد دل على تحريم الكذب، فالكذب حرام إلا لعارض ودل على إباحة الصدق، فالصدق حلال إلا بعارض، وكما أنه يجوز لنا أن نقول في زيد: إنه موجود لأنه موجود فكذلك في حق الله تعالى ورد به الشرع أو لم يرد، ونقول: إنه قديم وإن قدرنا أن الشرع لم يرد به، وكما أنا لا نقول لزيد: إنه طويل أشقر، لأن ذلك ربما يبلغ زيدا فيكرهه لأن فيه إيهام نقص فكذلك لا نقول في حق الله تعالى ما يوهم نقصا البتة، فأما ما لا يوهم نقصا أو يدل على مدح فذلك مباح بالدليل الذي أباح الصدق مع السلامة عن العوارض المحرمة، ولذلك قد نمنع من إطلاق لفظ فإذا قرن به قرينة جوزناه. فلا يجوز أن يقال لله تعالى: يازارع يا حارث، ويجوز أن يقال: من وطئ وأمنى فليس هو الحارث وإنما الله هو الحارث، ومن بث البذر فليس هو الزارع إنما الله هو الزارع، ومن رمى فليس هو الرامي إنما الله هو الرامي، كما قال تعالى: {**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**}، ولا نقول لله تعالى: يا مذل ونقول: يا معز يا مذل فإنه إذا جُمِعَ بينهما كان وصف مدح إذ يدل على أن طرفي الأمور بيديه، وكذلك في الدعاء ندعو الله تعالى بأسمائه الحسنى كما أمر به، وإذا جاوزنا الأسامي دعوناه بصفات المدح والجلال فلا نقول: يا موجود يا محرك يا مسكن، بل نقول: يا مقيل العثرات، ويا منـزل البركات، ويا ميسر كل عسير، وما يجري مجراه، كما أنّا إذا نادينا إنسانا فإما أن نناديه

باسمه أو بصفة من صفات المدح، كما نقول: يا شريف يا فقيه، ولا نقول: يا طويل يا أبيض إلا إذا قصدنا الاستحقار، وأما إذا استُخْبِرْنا عن صفاته أخْبَرْنا بأنه أبيض اللون أسود الشعر، ولا نذكر ما يكرهه إذا بلغه وإن كان صدقا لعارض الكراهة، وإنما يكره ما يقدّر فيه نقصا، وكذلك إذا استُخْبِرْنا عن مُجْرِي الأشياء ومسكّنها قلنا: هو الله تعالى ولا نتوقف في نسبة الأفعال والأوصاف إليه إلى إذن وارد فيه على الخصوص، بل الأذن قد ورد شرعا في الصدق إلا ما يستثنى عنه بعارض.

والله تعالى هو الموجود والموجِد والمظهر والمخفي والمسعد والمشقي والمبقي والمغني، وكل ذلك يجوز إطلاقه وإن لم يرد فيه توقيف.

فإن قيل: فلم لا يجوز أن يقال له: العارف والعاقل والفطن والذكي وما يجري مجراه؟ قلنا: إنما المانع من هذا وأمثاله ما فيه من إيهام لا يجوز إلا بالإذن كالصبور والرحيم والحليم فإن فيه إيهاما ولكن الإذن قد ورد به، وأما هذا فلم يرد به الإذن، والإيهام فيه أن العاقل هو الذي له معرفة تَعْقِلُهُ أي تمنعه، يقال: عقله عقله، والفطنة والذكاء يشعران بسرعة الإدراك لما غاب عن الْمُدْرِك، والمعرفة قد تشعر بسبق نكرة، فلا يمنع عن إطلاق شيء منه إلا شيء مما ذكرناه، فإن تحقق لفظ لا يوهم أصلا بين المتفاهمين ولم يرد الشرع بالمنع منه فإنا نجوّز إطلاقه قطعا، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب(١) انتهى بتصرف يسير .

---

[١] وهذه العبارة آخر كتاب "المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" للإمام أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه وبركاته آمين.

فائدة

قال في "التحفة "(١): "قاعدة" وهي أنه يتوصل "بالذي " لوصفه تعالى بما ثبت له ولم يرد به توقيف اهـ أي يقال الذي دمر الأعداء والذي قصم الجبابرة، والذي فجر الأنـهار ونحوها.

وقال الشيخ عطية الأجهوري في "حاشيته على شرح الزرقاني على البيقونية":(٢) "قاعدة" كل وصف لم يرد اطلاقه عليه تعالى يتوصل إلى وصفه ببدئه بالموصول وصلته، فلا يطلق عليه تعالى لفظ وإن صح معناه كالحاضر إلا بإذن شرعي خلافا للغزالي اهـ

وقال الحافظ البيهقي في كتاب " الأسماء والصفات": لا يجوز وصفه تعالى إلا بما دل عليه كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أو أجمع عليه سلف هذه الأمة اهـ بلفظه.

وهذا قريب إلى القول الأول ولكن يخالفه بعدم اشتراط صحة الحديث وبالاكتفاء بدلالة الكتاب والسنة ولم يشترط التصريح كما اشترطه الهيتمي فلهذا عدّ البيهقي من أسمائه تعالى وصفاته كثيرا مما لم يرد صريحا في كتاب ولا في سنة ومن ذلك:-

١- القاضي، قال الله تعالى: {**والله يقضي بالحق**}.

٢- الكفيل، {**وقد جعلتم الله عليكم كفيلا**}، وورد في الحديث: كفى بالله كفيلا.

---

(١) ج١ص٢١٧ .

(٢) ص٤.

٣- الذارئ: قال الله تعالى: {**وجعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه**}. وقال صلى الله عليه وسلم: أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينـزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما خلق وبرأ وذرأ الحديث.

٤- الوافي، قال الله تعالى: {**ليوفيهم أجورهم**} وقال تعالى: {**وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم**}.

٥- الصادق: ورد في حديث ضعيف، وفي كتاب الله عز وجل: {**ومن أصدق من الله قيلا**}، وقوله تعالى: {**الحمد لله الذي صدقنا وعده**}.

٦- الطالب، عده من اسمائه تعالى ولم يذكر له أية ولا حديثا.

٧ الغياث، قال النبي صلى الله عليه وسلم في خبر الاستسقاء: اللهم أغثنا اللهم أغثنا، ومنها غير ذلك .

وقال القرطبي في تفسير آية {**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بـها**}: أدخل القاضي أبوبكر بن العربي عدة من الأسماء في أسمائه سبحانه مثل: متم نوره، وخير الوارثين، وخير الماكرين، ورابع ثلاثة، وسادس خمسة، والطيب، والمعلم، وأمثال ذلك، قال ابن الحصار: واقتدى في ذلك ابن برجان إذ ذكر في الأسماء: النظيف، وغير ذلك مما لم يرد في كتاب ولا سنة.

ثم قال القرطبي: جاء في صحيح مسلم: الطيب، وخرّج الترمذي النظيف.

فإذا علمت طرفا من أقوال الأئمة في هذه المسألة تبين لك أن الأمر فيه سعة لما علمت من أن اختلاف الأمة في مثل هذه القضية رحمة فمن أخذ

بقول واحدٍ من هؤلاء الأئمة فله في ذلك رخصة، فإطلاق "هو" على الله تعالى لم يرد بمنعه وارد من كتاب أوسنة فإذا انتفى ذلك فهل ورد في اطلاقه وارد أم لا؟ وإذا قلنا: نعم، فهل ذلك الوارد من القرآن أو من السنة الصحيحة أو الضعيفة؟ وإذا قلنا: لا، فهل في هذا اللفظ ثناء على الله أو فيه إيهام ما لا يليق له سبحانه وتعالى؟ أقول: سبق عن الخضري أنه قال: وأما حديث ياهو يامن لا هو إلا هو إلخ.

وفي كنــز العمال في سنن الأقوال والأفعال في كتاب الإيمان والإسلام/ من قسم الأقوال(١): قال الله عز وجل: لا إله إلا الله كلامي، وأنا هو، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن عقابي. رواه ابن النجار عن علي ومثله في كتاب "الأربعين الأربعين" للنبهاني.

فإن صح أحد هذين الحديثين أو كلاهما جاز باتفاق علماء الإسلام اطلاق "هو" على الله تبارك وتعالى وزال الإشكال وبطل الاعتراض من أصله، وإن لم تثبت صحتهما وكانا ضعيفين جاز اطلاق ذلك أيضا عند من لم يشترط صحة الحديث في الباب بل اكتفى بالضعيف كالحافظ البيهقي ومن تبعه.

وإذا فرضنا بعد التنــزل وإرخاء العنان عَدَمَ وُرُودِ دليلٍ أصلا لا صحيحا ولا ضعيفا وأنّ ما في الخضري وكنــز العمال والأربعين الأربعين لم يتحقق ورودُه أو أنه محتمل لمعان أخرى فاعلم أنه يجوز أيضا إطلاق كل اسم أو وصف عليه تعالى عند من لم يشترط في ذلك ورود دليل قوي أو ضعيف، بل اكتفى بعدم إيهامه ما لا يليق بجلاله تعالى وعظمته، وقد

---

(١) جـ ١ص٤٢ .

ذكرنا آنفا ما نقله القرطبي في تفسيره عن ابن الحصار، وذكرنا أيضا ما نقله الفخر الرازي في تفسيره عن بعض العلماء من جواز إطلاق كل لفظ ووصف عليه تعالى إذا كان ذلك دالاً على معنى يليق بجلال الله وصفاته، واحتجاجِهِ بأنه لا حاجة إلى التوقيف بوجوه ذكرناها آنفا. وذكرنا أيضا أن الإمام القاضي أبابكر محمد بن الطيب الباقلاني مَالَ إلى جواز إطلاق الاسم أو الصفة في حق الله تعالى إذا لم يشعر ذلك بما يستحيل معناه على الله تعالى ولم يمنع منه الشرع ولا يتوقف إطلاق ذلك على إذن الشارع.

فيجوز تقليد هؤلاء العلماء على إطلاق لفظة "هو" على الله سبحانه وتعالى إذ لا تشعر ما يستحيل عليه تعالى ولا توهم ما لا يليق بجلاله سبحانه .

واعلم أنه لا بد أن نعلم أوّلا مدلول هذه اللفظة في اللغة العربية إذا كانت وحدها أو مع غيرها فالمشهور أن لفظ "هو" ضمير للمفرد المذكر الغائب فهذا المعنى هو مدلوله لغة إذا كان وحده، ودلالة هذه عامة لا يختص بـها شيء دون آخر فكل مفرد مذكر غائب يصح أن يطلق عليه "هو" وأما إذا كان مع غيره فإنه يخرج عن العموم وينـزل إلى الخصوص وهكذا سائر المضمرات، فقولنا: هو خير خلق الله لايدل على كل مفرد مذكر غائب، وإنما يدل على خصوص سيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وكذلك قولنا: هو الله ربنا يدل لفظ "هو" على المعبود بحق فقط.

قال الشيخ أبو حيان النحوي اللغوي في تفسيره " البحر المحيط" ولفظ هو من المضمرات، وضع للمفرد المذكر الغائب وهو كلي في الوضع كسائر المضمرات، جرى في النسبة الخصوصية حالة الاستعمال، فما من مفرد مذكر غائب إلا ويصح أن يطلق عليه "هو" لكن إذا أسند لهذا الاسم شيء تعين اهـ

هذا هو معنى "هو" وهو المشهور لغة، وقد يكون معناه الإشارة كما تقدم في حديث: "وأرجو أن أكون أنا هو"، فثبت أن لفظ هو يدل على ذات المولى تبارك وتعالى إذا أسند إليه اسم من أسمائه تعالى وكذا إذا أسند إلى الاسم الموصول الذي يتوصل به لوصفه تعالى بما ثبت له تعالى من صفاته كقوله تعالى: {**هو الذي يصوركم** في **الأرحام**}، {**هو الذي أنزل عليك الكتاب**}.

ومعلوم أن دلالة المضمرات على مدلولاتـها أقوى وأبلغ من دلالة المظهرات على معانيها، فقد قال النحاة: الضمير أعرف المعارف بعد اسم الجلالة، وهذا مثل الكنايات فإنـها أفصح من الصرائح، ومثل المجاز أيضا فإنه أبلغ من الحقيقة، قال الأخضري في "الجوهر المكنون":

ثم المجاز والكنى أبلغ من   صريح أوحقيقة كذا زكن

فالظاهر أن دلالة "هو" على الواحد الأحد أقوى وأظهر من دلالة الأسماء البارزة عليه تعالى ما عدا اسم الجلالة ولعل هذا هو السر في ابتداء "هو" بأعظم سورة في كتاب رب العالمين وهي سورة الإخلاص، وفي ذكره أيضا بأوائل آية الكرسي وأواخرها التي هي أعظم آية في كتاب الله، والله بالحقائق وبأسرار كتابه أعلم.

فإذا علمنا أنه يدل وضعا على مفرد غائب تحقق أن "هو" ليس موهما لما لا يليق لعظمته تعالى فيجوز اطلاقه على الله تعالى على القول القائل بجواز اطلاق الأسماء والصفات في حق الله سبحانه إذا لم تشعر بما يستحيل معناه على الله ولم يمنع منه الشرع، ولا يتوقف جواز هذا الإطلاق على إذن الشارع، وإلى هذا القول مال القاضي أبوبكر الباقلاني كما مر، وقد وافقه على ذلك الإمام الغزالي في صفاته تعالى لا في أسمائه كما مر أيضا، فتحصّل لك مما ذكر أن اطلاق لفظة هو على الله تعالى جائز عند جميع العلماء إن كان ثم وارد من السنة الصحيحة وإن لم يكن فجائز أيضا عند بعضهم فيجوز تقليد ذلك البعض لأن المسألة فقهية لا اعتقادية كما مر .

بيان أن الهاء أصل الجلالة عند بعض علماء العربية

وقد ثبت كما ذكرنا أن أصل هو الهاء، والواو زائدة، ونقل عن بعض أصحاب العربية أن الهاء أصل الجلالة "الله" فقد قال القرطبي في كتابه "الأسنى"(١) والحافظ البيهقي في كتابه "الاسماء والصفات(٢)" واللفظ له: اختلف الناس في لفظ الجلالة "الله" هل هو اسم علم وليس بمشتق أو مشتق؟ فعلى القول باشتقاقه اختلفوا في أصله فزعم بعض أصحاب العربية والنحو أن الأصل فيه "الهاء" التي هي الكناية عن الغائب، وذلك

---

[١] ص٣٥٠.

[٢] ذكره البيهقي في باب –جماع أبواب ذكر الأسماء التي تتبع إثبات الإبداع والاختراع لـه تعالى من "كتاب الأسماء والصفات" بتحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيـدر. الناشـر: دار كتاب العربي- بيروت- الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

لأنـهم أثبتوه موجودا في فطر عقولهم فأشاروا إليه بحرف الكناية، ثم زيدت فيه لام الملك إذ قد علموا أنه خالق الأشياء ومالكها فصار "له" ثم زيدت الألف واللام تعظيما وفخموها توكيدا لهذا المعنى، ومنهم من أجراه على الأصل بلا تفخيم اهـ.

فهذه الهاء التي هي أصل "هو" كما ذكرنا كذلك هي أصل الجلالة "الله" عند البعض المذكور من أصحاب العربية والنحو، فهذا مما يؤيد اطلاق هذا اللفظ على الله تبارك وتعالى، لأن دلالة الأصل وهو الهاء على ما اشتق منه وهو هنا "الله" دلالة ظاهرة وقوية ولا يُسْتَغْرَبُ عقلا ذلك على من ادعاه من الصوفية أو من غيرهم.

وقال الشيخ أحمد عبد الجواد في كتابه الذي ألفه في أسماء الله الحسنى(١): من خصائص حروف الاسم الأعظم دون غيره من الأسماء: أنك إذا حذفت الألف فيبقى "لله": {لله **ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير**}، ثم إذا حذفت اللام فيبقى "له" {**له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**} وإذا حذفت اللام وأثبت الألف فيبقى "إله" ومعناه: المعبود، قال الله تعالى: {**إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري**} ، وإذا حذفت الألف واللامان فيبقى "هـُ" هاء الهوية الذاتية وقد ألحق بـها "الواو" مع ضمّ الهاء وإشباع مدها بالدعاء فتقول: "يا هو" وهو اسم ضمير للغائب الحاضر، قال الله تعالى: {**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير**} اهـ

---

(١) ص٢٣٤.

وفى "الأسنى شرح أسماء الله الحسنى" للإمام القرطبي(١) ما حاصله: قال بعض الصوفية فى اسم "الله": إن أزلت الألف الأولى من هذا الاسم بقي لله، وإن أزلت اللام بقي له، وإن أزلت اللام الثانية بقي "ـه"، وهو إشارة إليه ودلالة عليه (٢)، وقال بعضهم: ما هو أدق من هذا، قال: إن الألف تدل على عين الذات وهى إشارة إلى الفردانية المحضة، واللام الأولى على الصفات الذاتية، إذ الصفات لاتفارق الذات كما أن الألف واللام لايفترقان فى فواتح السور، فالألف تألفت مع اللام، واللام التأمت مع الألف فهما معا متلازمتان، واللام الثانية التأمت مع اللام الأولى فهي دالة على صفات الأفعال إذ الأفعال كلها ملك لله تعالى، واللام تستعمل للملك تقول: له مال ولزيد علم .

ولما كانت صفات الأفعال صادرة عن صفات الذات، وهي كلها صفات موجودة لله تعالى مع الذات لما تفارق اللام الثانية الأولى بل اتحدت واندغمت فيها واشتركا فى الاسم كما اشتركت صفات الذات وصفات الأفعال فى الاسم إذ يطلق عليهما معا إنـها صفات الله تعالى .

وأما الألف التي بعد اللام الخارجة بصوت هوائي من الصدر فهي دالة على اندفاع التكوين من صفات الفعل وامتداد الوجود بالحركة التي برزت من القدرة حتى أخذ كل موجود حظه من الوجود فإذا انتهى إلى آخر مرتبة رجع الوجود كله إلى مبدعه كما ينتهي النطق بالألف إلى هاء

---

[١] ص١٢٢.

[٢] وذكر القرطبي مثل هذه العبارة أيضا في صفحة ٣٥٢ .

فينقطع الصوت، فالهاء دالة عليه سبحانه وبـها يشار إليه فمنه بدأ الوجود وإليه يرجع، وهو الأول والآخر اهـ .

وفي "تفسير مفاتيح الغيب" للإمام فخر الدين الرازي(١) في تفسير البسملة "المسئلة الخامسة" من المباحث المتعلقة بقولنا "الله" اعلم أن هذا الاسم مختص بخواص لم توجد في سائر أسماء الله تعالى ونحن نشير إليها، فالخاصة الأولى أنك إذا حذفت الألف من قولك "الله" بقي الباقي على صورة "لله" وهو مختص به سبحانه كقوله: {**ولله جنود السموات والأرض، ولله خزائن السموات والأرض**}. وإن حذفت عن هذه البقية اللام الأولى بقيت البقية على صورة "له" كما في قوله تعالى: {**له مقاليد السموات والأرض**}، وقوله: {**له الملك وله الحمد**}، وإن حذفت اللام الباقية كانت البقية هي قولنا "هو" وهو أيضا يدل عليه سبحانه كما في قوله: {**قل هو الله أحد**}، وقوله: {**هو الحي لا إله إلا هو**}. والواو زائدة بدليل سقوطها في التثنية والجمع، فإنك تقول: هما، هم، فلا تبقى الواو فيهما. فهذه الخاصة موجودة في لفظ "الله" غير موجودة في سائر الأسماء انتهى.

قلت: هذا بحسب صورة الجلالة "الله " الخَطِية، وأما باعتبار النطق بـها فلا تكون كذلك كما لا يخفى .

---

(١) ج١ص ١٦٣.

دقيقة

إذا لم تقتنع بما قدمناه أيضا ووجدت في نفسك الطموح إلى اقناع آخر أقول لك إفحاما لها: إن لفظ هو يدل وضعا على مفرد مذكر غائب وهذا إذا لم يسند إليه شيء فإن أسند إليه كما إذا قلنا مثلا: "هو زيد" تعّين كما ذكرنا ويكون مدلول لفظ هو نفس مدلول لفظ زيد فيكون المبتدأ حينئذ نفس الخبر وهما يدلان في هذا المثال على ذات زيد فقط وكذلك قولنا: "هو الله" يكون "هو" دالّا على المولى جلّ جلاله كما يدل لفظ "الله" عليه تعالى جل شأنه، فمدلولهما واحد .

ولا يخفى أن دلالة لفظ "هو" على المفرد المذكر الغائب وضعا إنما هو إذا كان إسناده إلى المخلوقات، وأما إذا أسند إلى الخالق جل جلاله كأن تقول: "هو الله ربي" أو "لا إله إلا هو" فإنه يدل على مفرد خاص غائب عن جيمع الإدراكات والأوهام والتخيلات وهو الله جل جلاله، كما تدل على ذلك جميع أسماء الله الحسنى، ولا يدل "هو" حينئذ على المذكر كما لا تدل عليه الأسماء الحسنى، ولله المثل الأعلى .

فمن خصّص باختياره عموم لفظ "هو" بقلبه وأسنده بنيته فقط إلى معلوم خاص حاضر بقلبه -وهو الله- لا شك أنه مصيب في ذلك وأنه لا حرج ولا ملام عليه، وأن هذا اللفظ يخرج بذلك عن العموم وينصرف إلى الخاص الذي نواه بقلبه فقط، ويسقط كل ما سواه مما كان يحتمله قبل هذا التخصيص القلبي الذهني، فإن للنّيّات تأثيرات في الأعمال والأفعال وكثير من الأمور، ولكل امرئ ما نوى في الألفاظ والأعمال غالبا، فمن نوى بألفاظ القرآن ذكر الله تعالى وهو جنب أو حائض تؤثر قراءَتُهُ هذه

النية، ويتبدل حكم القراءة في الجنب ونحوه، فيجوز له قراءة القرآن كله بـهذا القصد، وعبارة "المنهاج" للنووي مع شرحه لابن حجر الهيتمي "وتحل" لجنب ونفساء "أذكاره" أي القرآن ومواعظه وقصصه وأحكامه لا بقصد قرآن سواء أقصد الذكر أم أطلق واختار جمع الحرمة في حال الاطلاق لكن اعتمد جواز كله بلا قصد غير واحد اهـ وعبارة "المغني" للخطيب الشربيني: أفتى شيخي أي الشهاب الرملي بأنه إن قرأ القرآن جميعه بلا قصد قرآن جاز.

فانظر كيف أثّرت النية ذلك وانقلبت الحرمة إلى الجواز بسبب النية، ويستفاد من عبارة "التحفة" أن القرينة تقوم مقام النية، فالقرآن عند قرينة تقتضي صرفه عن موضوعه كالجنابة هنا لا يكون قرآنا إلا بالقصد، فكذلك لفظ "هو" يخرج عند القرينة عن موضوعه الذي هو عموم كل مفرد مذكر غائب، ويكون مدلوله ما دلت عليه القرينة الحالية فقط قياسا على ذلك، والقرينة هنا كون المتلفظ به في حلق الذكر ونحوها من مجالس العبادات ومحافل الطاعات وفي المناجات والتوجهات القلبية إلى الله سبحانه وتعالى، فما ذا يُعْتَرَضُ على من يَدعِي أنه نَوى بلفظ "هو" مفردا خاصا غائبا عن الأبصار وهو الله جل جلاله وقد دلت قرينة حاله على ما ادعاه؟!!.

ومما تؤثر فيه النية وتُخصصُ فيه اللفظَ على بعض محتملاته قول الزوج لزوجته أنت طالق ونوى به عددا فإنـها تطلق بما نواه من العدد لا بما هو المتبادر من اللفظ من وقوع طلقة واحدة، ففي "المنهاج" للنووي وشرحه للخطيب: "ولو قال" شخص لزوجته: "طلقتك أوأنت طالق

ونوى عددا وقع"، لأن اللفظ يحتمل العدد، وما احتمل إذا نواه وقع اهـ.

بل لو قال: أنت طالق واحدةً ونوى عددا يقع المنوي لا الملفوظ عملا بالنية كما قاله الخطيب الشربيني في "شرح المنهاج" وقال: هذا ما صححه في أصل الروضة تبعا للبغوي وهو المعتمد .

قلت: ولا يخفى أن ظاهر هذه العبارة يقتضي وقوع طلقة واحدة، فلما نوى بقلبه غير ما تلفظ به وقع ما نواه ولم يكن لصريح اللفظ اعتبارٌ بل رجحت النية عليه، فظهر بـهذا قوة تأثير النيات، واتضح أنه إذا اختلفت النيات وصرائح العبارات قد تغلب النية وتترجح على العبارة، فما المانع حينئذ من استعمال لفظ "هو" على فرد واحد من أفراد ما وضع هذا اللفظ له، وقد حصل تعيين هذا الفرد بالقصد والنية .

وكما تؤثر النية فيما ذكرناه من الأحكام كذلك تؤثر في الحركات، ألا ترى أن قبل وبعد إذا كانا مضافين يعربان َنصْباً على الظرفية أو خَفْضاً بِمِنْ، تقول: جئتك قبلَ زيد وبعدَه فتنصبهما على الظرفية، قال تعالى: {**كذبت قبلهم قوم نوح**} وقال تعالى: {**فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون**} أو َتخْفِضُهُما بِمِن قال تعالى: {**ألم يأتـهم نبأ الذين من قبلهم**} **وقال تعالى: {من بعد ما أهلكنا القرون الأولى}.**

وأما إذا حذف المضاف إليه ونوي لفظه أو معناه فإن الحكم يتبدل بـهذه النية.

فإذا حُذف المضاف إليه وُنوي لفظُه فُيعربان بـهذا الإعراب أيضا ولا ُينوّنان لنية الإضافة وذلك كقوله:

ومن قبلِ نادى كل مولى قرابة فما عطفت مولى عليه العواطف

الرواية بخفض قبل بغير تنوين أي ومن قبلِ ذلك، وقرأ الجحدري {لله **الأمرُ من قبلِ ومن بعدِ}** بالخفض بغير تنوين أي من قبلِ الغَلَبِ ومن بعدِهِ، فحذف المضاف إليه وقُدرَ وجودُه ثابتا .

وأما إذا ُنوي معناه دون لفظه فُيبنيان على الضم كقوله تعالى: {لله **الأمر من قبل ومن بعد}** .

وإذا قُطِعَ عن الإضافة لفظا ولا ينوى المضاف إليه فُيعربان أيضا َنصباً على الظرفية أو خَفضاً بِمِنْ، لكنهما ُينوّنان لأنـهما حينئذ اسمان تامان كسائر الأسماء النكرات فتقول: جئتك قبلاً وبعداً، ومن قبلٍ ومن بعدٍ، قال الشاعر:

فساغ لي الشراب وكنت قبلا أكاد أغص بالماء الفرات

وقرأ بعضهم: {لله **الأمر من قبلٍ ومن بعدٍ}** بالخفض والتنوين .

فما ذا على من نوى حال تلفظه بـ "هُوَ" فردا واحدا من ماصدقات هذا اللفظ مع دلالة القرينة القوية على ما نواه ؟!!

تتمة

من القواعد المشهورة قولهم: هذا من باب إطلاق الكل وإرادة البعض، وهذا مثله إذ فيه إطلاق الكل وهو لفظ "هو" الدال على مطلق الأفراد الثلاثة المذكورة وإرادة بعضها الذي هو فرد واحد من تلك الأفراد.

وقالوا أيضا: هذا اللفظ عام أريد به الخصوص، وقد جاء هذا في القرآن الكريم في مواضع:-

منها: قوله تعالى: {**الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم**}، فلفظ الناس الأول يراد به خصوص نعيم بن مسعود الأشجعي كما قاله علماء التفسير، مع أن المتبادر من لفظ الناس الجمع وأقله ثلاثة لأن موضوعه جمع لا فرد واحد، فلما استعمل لرجل واحد كان عاما أريد به الخصوص، فكذلك كما هو ظاهر استعمالهم بلفظ "هو" على فرد واحد من أفراد ما كان يدل عليه وضعا، فيكون هذا عاما أريد به الخصوص، كلفظ الناس في الآية الكريمة، وهذا ظاهر جلي يقتنع به الفطن المنصف إن شاء الله.

ومنها: قوله تعالى: {**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**}، فإن المراد من الناس في هذه الآية رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه جمع ما في الناس من الخصال الحميدة.

ومنها: قوله تعالى: {**فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب**}، يراد به جبريل.

ومنها: غير ذلك.

واعلم أن اللفظ العام لا يبقى غالبا على عمومه بل يقبل التخصيص في كثير من الأحوال، فقد قال السيوطي في "الاتقان في علوم القرآن": العام على ثلاثة أقسام، الأول: ما بقى على عمومه، قال القاضي جلال الدين البلقيني: ومثاله عزيز، إذ مامن عام إلا ويتخيل فيه التخصيص، فقوله تعالى: {**ياءيها الناس اتقوا ربكم**} قد يخصص منه غير المكلف، {**وحرمت عليكم الميتة**} خص منه حالة الإضطرار، وميتة السمك والجراد، وتحريم الربا خص منه العرايا، وذكر الزركشي في البرهان أنه كثير في القرآن وأورد منه {**والله بكل شي عليم**}، {**إن الله لا يظلم الناس شيئا**}، {**ولا يظلم ربك أحدا**}، {**الله الذي خلقكم** ثم **رزقكم** ثم **يميتكم** ثم **يحييكم**}، {**الذي خلقكم من تراب** ثم **من نطفة**}، {**الله الذي جعل لكم الأرض قرارا**}.

قلت: هذه الآيات كلها في غير الأحكام الفرعية، فالظاهر أن مراد البلقيني أنه عزيز في الأحكام الفرعية، وقد استخرجت من القرآن بعد الفكر آية فيها وهي قوله: {**حرمت عليكم أمهاتكم**} الآية. فإنه لا خصوص فيها . انتهى ما نقلته من الإتقان ج٢ص١٦.

فثبت بما ذكرناه أن اطلاق لفظ العام على بعض ما صدقاته شائع معروف بل هو واقع في القرآن الكريم فلم يبق بعد ذلك أدنى تردد وشك في جواز اطلاق "هو" على المعبود بحق جل جلاله. وهذا باعتبار الوضع اللغوي لهذا اللفظ، والاستعمال المتعارف في مجاري الكلام.

وأما الحكم الشرعي فقد علمتَ أنه يحتمل كون هذا اللفظ سريانيا فعليه لا شك في جواز اطلاقه على الله تبارك وتعالى، كما بيناه في أول الكتاب

من نقل الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير إجماع المسلمين على جواز اطلاق اسماء الله وصفاته بغير اللغة العربية.

وإذا فرضنا أنه ليس بسرياني(١) بل هو عربي فقد ذهب إلى جواز اطلاقه على الله تعالى كثير من العلماء الكبار، وقد ذكرنا بعضهم كالإمام فخر الدين الرازي المتوفى سنة ست وستمائة، وكان من أئمة التفسير وحذاق المتكلمين، فقيها أشعريا أصوليا نحويا طبيبا ماهرا، قال ابن خلكان في "وفيات الأعيان": كان فقيها شافعيا فريد عصره، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، له التصانيف وكلها ممتعة اهـ. وكالشيخ إسماعيل حقي البروسي كما ذكر في تفسيره "روح البيان"، وكالقاضي أبي الطيب الباقلاني فإنه كما ذكرنا أباح إطلاق كل اسم على الله تعالى إذا لم يوهم ما لا يليق بجلاله.

فهؤلاء الثلاثة من الأئمة المشهورين قائلون بجواز اطلاق "هو" على الله تعالى.

ونقل عن الرازي ذلك أيضا شيخُ الاسلام أبو الفضل ابن حجر العسقلاني في " فتح الباري شرح صحيح البخاري" وسكت عليه. وممن نقل ذلك عن الرازي أيضا العزيزي والعلقمي والحافظ السيوطي. ونقله العلامة أبو حيان في تفسيره "البحر المحيط" عن المنسوبين إلى علم الحقائق

---

١ وهذا الفرض والتقدير لإقناع الخصم وإفحامه، ولكنه مستبعد جدا، لأن الشيخ عبد العزيز ابن مسعود الدباغ الذي ذكر ذلك كان ثقة، وإماما كبيرا، وسيدا جليلا، وعارفا بالله تعالى، بل كان قطب زمانه وغوث أوانه، كما أقر له كل من عرفه أو لقيه من أهل العلم والفضل، كتلميذه الإمام المحدث أحمد بن المبارك الراوي عنه كتابه الإبريز وغيره من أساطين العلم العاملين به.

والتصوف، وكان أبوحيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف إماما اتفق أهل عصره على تقديمه وإمامته، وتوفي سنة ٧٤٥هـ.

وذكر الحافظ ابن حجر في "الدرر الكامنة" من تصانيفه نحو٤٥ مصنفا. وقال فيه الذهبي: أبوحيان ذو فنون حجة العرب وعالم الديار المصرية، وقال الاسنوي: كان إمام زمانه في علم النحو إماما في اللغة عارفا بالقرآت والحديث، قال: وقال الصفدي: سمعت منه التنفير عن الذين ينسبون إلى الصلاح اهـ.

قلت: وتحامله على الصوفية وتشدده عليهم وعلى غيرهم معروف كما يعلم من تراجمه، ومع هذا إنه لما نقل عن الصوفية أن "هو" اسم من أسماء الله لم ينكر عليهم ذلك .

وهؤلاء سبعة من كبار العلماء المفسرين وحفاظ الأحاديث الشريفة وهم غير معدودين من الصوفية، ولو تتبعنا القائلين بجواز اطلاق "هو" على الله تعالى والناقلين عنهم الساكتين عليه لطال بنا الكلام، وأما الصوفية فهم المشتهرون باستعمال هذا اللفظ واطلاقه على الله تبارك وتعالى، والله الموفق .

نصيحة للمنكرين على الصوفية

اعلم أيها المعترض أن الأسلم لك السكوت وعدم الاعتراض لهؤلاء الصوفية المنتسبين إلى عبادة ربـهم المنقطعين لخدمته المعرضين عن زخارف الدنيا وزهرتـها، تراهم كأنـهم غائبون عن هذا الكون وتقلباته وتبادل أحواله، فلا يسرّهم ما يفرح به الناس ولا يحزنـهم ما يجرى فى الدنيا من أزمات ومهمات، بل يسبق إلى أذهانـهم أن هذا كله من فعل الفاعل المختار الفعال لما يريد، فيستسلمون طبعا لا تكلفا لقضائه تعالى ويفرحون بما وصل إليهم من سيدهم الحنان المنان {**ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى**} فلا ينبغي لأحد أن يضيع أوقاته الغالية باعتراض من هكذا شأنه، ولا يليق بذي عقل أن يشوشهم وُيدخِلَهم الشكوك في أورادهم وأذكارهم، ففي ذلك إيذاؤهم وتعويقهم عن الاستغراق في ذكر الله تعالى وقد قال الله تعالى: {**والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بـهتانا وإثما مبينا**} وقال بعض الصالحين: من شغل مشغولا بالله أدركه المقت في الوقت.

و قد قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في مقدمة المجموع: قال الإمام الحافظ أبو القاسم ابن عساكر رحمه الله: اعلم يا أخي وفقني الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته إن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، وأن من أطلق لسانه في

العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب، {**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**}(١) اهـ

وفي " الحلية" لأبي نعيم أن الله تعالى أوحى إلى موسي عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: أنا الثائر لأوليائي يوم القيامة. وفي رواية أنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة لا أكِلُ نصرتـهم إلى غيري. وفي رواية أخرى: إذا لقيتهم فذلل لهم نفسك .

وينبغي تأويل ما وقع من بعض علماء الصوفية مما يخالف ظاهره الشريعة وحمله بمحامل حسنة، فقد أُمِرْنا بإقالة عثرات ذوي الهيئات، كما روى أبو نعيم في الحلية(٢) عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أقيلوا ذوي الهيئات عثراتـهم إلا من الحدود. وقال السيوطي في الجامع الصغير: روى هذا الحديث أحمد في مسنده والبخاري في أدب المفرد وأبو داود عن عائشة، ورمز له بالحسن .

وقال الإمام النووي في بستان العارفين: يجب تأويل أفعال أولياء الله تعالى، وقال: حكي عن إبراهيم الرُقي قال: قصدت أبا الخير التيناتي مسلّما عليه فصلى صلاة المغرب فلم يقرأ الفاتحة مستويا، فقلت في نفسي: ضاعت سفرتي، فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدني السبع فعدتُ إليه وقلت: إن الأسد قصدني، فخرج وصاح على الأسد وقال: ألم أقل لك: لا تتعرض لضيفاني فتنحى وتطهرت، فلما رجعت قال:

---

١ مقدمة الموع، ص٦١.

٢ ج٩ص ٤٣

اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الأسد واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الأسد.

ثم قال النووي: قد يتوهم من يتشبه بالفقهاء ولا فقه عنده أن صلاة أبي الخير هذا كانت فاسدة لقوله لم يقرأ الفاتحة مستويا، وهذه جهالة وغباوة ممن يتوهم ذلك، وجسارة منه على إرسال الظنون في أولياء الرحمن، فليحذر العاقل من التعرض لشيء من ذلك، بل حقه إذا لم يفهم حِكَمَهُم المستفادة ولطائفهم المستجادة أن يتفهمها ممن يعرفها، وكل شيء رأيته من هذا النوع مما يتوهم من لا تحقيق عنده أنه مخالف ليس بمخالف .

وجواب هذا من ثلاثة أوجه: أحدها أنه جرى منه لحن لا يخل بالمعنى، ومثل هذا لا يفسد الصلاة بالاتفاق، الثاني: أنه مغلوب على ذلك بخلل في لسانه فتصح صلاته بالاتفاق، الثالث: أنه لولم يكن له عذر فقراءة الفاتحة ليست بمتعينة عند أبي حنيفة وطائفة من العلماء، ولا يلزم هذا الولي أن يتقيد بمذهب من أوجبها انتهى ما نقلته من بستان العارفين(١).

وأول الحافظ الذهبي ما نُقِلَ عن أبي يزيد البسطامي فقال في سير أعلام النبلاء(٢): جاء عن أبي يزيد أشياء مشكلة، الشأن في ثبوتـها عنه، أو أنه قالها في حال الدهشة والسكر والغيبة والمحو، فيطوى ولا يحتج بـها إذ ظاهرها إلحاد، مثل سبحاني اهـ ، فتراه لم يَثْبُتْ ذلك عنده، وعلى تقدير ثبوته فقد أوّله بأنه قالها في الغيبة والدهشة والمحو، ولا يخفي أنه لامؤاخذة في تلك الحالة لعدم التكليف فيها .

---

[١] ص ٩٦

[٢] جـ ١٣ص٨٨

وسئل ابن حجر الهيتمي عن قول أبي يزيد : خضت بحرا وقف الأنبياء بساحله؟ فقال: لم يصح هذا القول عنه وإن صح فمؤل، ثم ذكر بعض التأويلات التى استحسنها .

وذكرابن حجر الهيتمي ما يفيد أنه ينبغي تأويل شطحات الأولياء فقال في الفتاوي الحديثية(١): للأئمة العلماء الذين منّ الله عليهم بالاعتقاد في أوليائه وحماهم من الانكار عليهم وبحمل ما صدر عنهم من الشطحات على أحسن المحامل وأقومها أجوبة مسكتة، وتحقيقات مبهتة، لا يهتدي إليها إلا الموفقون، ولا يعرض عنها إلا المخذولون. فاحذر أن تكون ممن يتحسّى كأس سم الانكار فيهلك لوقته، وبادر إلى السلامة من غضب الله ومحاربته ومقته، فقد قال تعالى في الحديث القدسي: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب" أي أعلمته أني محارب له، قال الأئمة: ولم ينصب الله تعالى المحاربة لأحد من العصاة إلا للمنكرين على أوليائه وآكلي الربا، ومن حاربه الله لا يفلح أبدا . ثم ذكر الهيتمي بعض الأجوبة فقال: إن تلك الشطحات وقعت منهم في حال الغيبة والسكر الناشئين عن الفناء في المحبة، ألا ترى أن بعض الهموم أو الواردات الدنيوية إذا وردت على القلب أذهلته وأذهبت تمييزه لشدة تمكنها منه واستغراقه في فكره، فإذا كان هذا في الأمور السافلة التي لا تقاوم جناح بعوضة فكيف بواردات الحق على القلوب ولواعج المحبة المذهلة عن كل مطلوب ومرغوب، وذكر الهيتمي خمسة أجوبة أخرى .

---

١ ص٢٦٨

وفي الفتاوي الحديثية للهيتمي أيضا[١] أن فقيها أنكر على شيخ قراءته، فقال له: إن كنتُ لحنتُ في قراءة القرآن فقد لحنتَ أنت في الإيمان، وذلك أنه لما أنكر عليه وخرج قصده السبع فخشي منه لضعف إيمانه وقلة يقينه بالله.

وقال النووي في بستان العارفين[٢]: روينا عن الإمام مالك رضي الله عنه: تلقى الرجل وما يلحن حرفا، وعمله لحن كله اهـ.

ولا شك أن اللحن في العمل أشنع وأقبح بكثير من اللحن في اللسان، فإن أساس النجاة التقوى والعمل الصالح، وأما عدم اللحن اللساني فهو من الكماليات التي ينجو بدونـها الإنسان، وقال الهلال بن العلاء :

سيبلى لسان كان يعـرب لفظـه فيا ليته من وقفـة الحشر يسلم

وما ينفع الإعراب إذ لم تكن تقى وما ضر ذا تقوى لسان معجم

واعلم أن المرء إذا استفزه الفرح والسرور خرج عن حد الاعتدال وتكلم بما لا يرضى به في حالة الهدوء والاعتدال، كما في حديث الرجل الذي ضلت راحلته فوجدها من حيث لايظنها، فتكلم لغلبة الفرح بما تمجه الأسماع مثل الهذيان، وكذلك الاستغراق في بحر المحبة فإنه يزيل الشعور عن جميع البدن، كما في قصة عشاق يوسف عليه السلام التي ذكرها الله تعالى في القرآن، وكذلك الخوف المدهش والرجاء المفرط، فكم من متكلم عند هذه الأحوال بما لا يقبله العقل السليم أو تأباه الشريعة المطهرة، ألا ترى ما يتفوه به العاشقون الشهوانيون كمجنون ليلى

---

[١] ص٢٨٥

[٢] ص٧٥

الأخيلية وغيره، فإذا كان نحو هذا ينشأ من الحب الشهواني ونحوه والفرح بوجود راحلة ضلت عنه وأمثال ذلك مما يفنى ولا يدوم فما ظنك بمن لا يخطر بباله في ليله ونـهاره غير عظمة الكبير المتعالى وجلاله وحب لقائه في دار الخلود والنعيم، أو يطمع ما هو أعلى وأغلى من ذلك كله من التمتع بنظره تعالى في دار رضاه، أو أرهقه الخوف من شديد نكاله وعقابه أو الرجاء بما لديه من عظيم نواله، وسابغ نعمائه، وجزيل مواهبه .

فالاعتراض على من هذا حاله جهل أو سخافة، فأي ملام على من لا شعور له بتاتا، ولم يبق من حسه وإدراكه أدنى بقية، فمثل هذا معذور لا يجري عليه قلم التكليف ما دام في هذه الحالة.

وعلى هذا التأويل جرى المحققون الراسخون في العلم. فالإغضاء من العثرات وتتبع العورات من أخلاق المؤمنين ودأب المتقين، وقد قال الشيخ عبد الله الحداد:

فسلم لأهل الله في كل مشكل لديك لديهم واضح بالأدلة

وقال آخر:

وإذا لم تـر الهلال فسـلـّم لأناس رأوه بالأبصـار

فمن قلة الحياء وعدم الإنصاف أن ترى عالما عاملا يخشى الله تعالى ويطيعه ويقوم ليله ويصوم نـهاره وقد داوم على ذلك أزمنة طويلة ثم إذا اتـهمت أو تخيلت وقوع زلة منه تطلق لسانك على إفشائها بين الناس ونشرها كأنك تؤدي واجبا عليك وأنت لا تنظر إلى حالتك وكاسد بضاعتك وقلة عبادتك، ففي الحديث النبوي يبصر أحدكم

القذى في عين أخيه وينسى الجذع في عينه. رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وقد ظهر في زماننا طوائف يتمتعون بحطام الدنيا ويتبسطون بملاذها وينقادون لشهوات أنفسهم وينامون طيلة ليلهم، فإذا انتبهوا من سباتـهم العميق ورأوا الزهاد والعبّاد الساهرين بحلق الذكر والأوراد يتغامزون وسلقوهم بألسنة حداد قائلين: إن هؤلاء لضالون، خرافيون قبوريون. فليتهم سكتوا إن لم يطيعوا ربـهم و يعملوا مثل أعمالهم، إذ ما عليهم من حسابـهم من شيء، وما أرسلوا عليهم حافظين .

فعلى اللبيب الفطن أن يعمل بما ينفع نفسه حالا ومآلا، ولا يصغي إلى أقوال هؤلاء البطالين الكسالى، ولا تضعف نيته باستهزائهم، ولا ينكسر خاطره بإيذائهم، وليكن ذا همة عالية وعزيمة قوية لا يثنيها شيء فقد قيل:

فكن رجلا رجله في الثرى وهـامـة همته فـي الـثُّرَ يّ

وما أحسن ما قاله الإمام الحافظ عبد العظيم المنذري:

اعمل لنفسك صالحا لا تحتفـل بظهـور قيل في الأنام وقـال

والخلق لا يرجى اجتماع قلوبـهم لا بد من مُثْنٍ عـليك وقال(١)

رزقنا الله حسن الظن بالأولياء والتأدب معهم، وحسن الاعتقاد فيهم، وأعاذنا من الانتقاد والطعن فيهم.

وقد كان أكابر العلماء وقادة الاسلام يحترمون الصوفية ويعظمونـهم ويجلسون بين أيديهم كما يجلس التلميذ بين يدى أستاذه كالإمام

---

١ قوله لا تحتفل: أي لا تبال ولا تكترث ، ففي القاموس- وما احتفل به- أي ما بالي به .

الشافعي فإنه كما قال الغزالي في "الإحياء": كان يجلس بين يدى شيبان الراعي كما يقعد الصبي في المكتب بين يدى المعلم، وكيحيى بن معين وأحمد بن حنبل فإنهما كانا يترددان إلى أبي محفوظ معروف الكرخي ويسألانه، وكابن سريج مجدد الدين في عصره فإنه كان يحترم سيد الطائفة الصوفية أبا القاسم الجنيد بن محمد ويتبرك به، وكان إمام الحرمين ينكر على الصوفية في أول أمره ثم رجع عن ذلك وحسن اعتقاده فيهم، وكان سلطان العلماء العز ابن عبد السلام ينكر عليهم، فلما اجتمع بالشيخ أبي الحسن الشاذلي أخذ عنه وقال: إن الصوفية قعدوا على قواعد الشريعة وقعد غيرهم على الرسوم .

فالذي ينبغي إن شاء الله لمن يهتم بسلامة دينه أن يتركهم وشأنهم ويسلم لهم أحوالهم وأذكارهم فما عليه من حسابهم من شيء وليس عليهم بوكيل ولا رقيب، ومن الواضح الجلي أن كلمة "هو" إن لم تكن ذكرا من الأذكار كما يزعمه المعترض فإنها لا تكون ذنبا من الذنوب فلا يجب إنكار من يكرر بها، بل غاية ما يمكن أن تكون هذه الكلمة لغوا من القول لا ثواب فيه ولا عقاب عليه، ومثل هذا مباح لا يعاقب عليه فاعله، ولا يجب على أحد إنكاره.

وإياك وما قد يُتَخَيلُ في النفس من أن هذا منكر شرعا، والسكوت على المنكر غير جائز وإزالته واجبة، فإن لوجوب إزالة المنكر شروطا مقررة في فن الفقه:-

منها: أن يكون الْمُنكَر مجمعاً على أنه منكر أو يكون منكَراً في اعتقاد فاعله.

ومنها: أن لا يخاف على نفسه وماله أو على غيره مفسدة أعظم من مفسدة المنكر، ومنها غير ذلك، فإذا كان تكريرُ كلمةِ "هو" منكرًا شرعا عندك فليس هذا بمجمع على كونه منكرا، فكم من إمام جليل صرّح بأنه اسم من أسماء الله تعالى بل قال بعضهم كما ذكرنا: إنه الاسم الأعظم لله تعالى. فلا يَخْدَعَنك الشيطان بوساوسه فكم من مُنكِرٍ ما يراه منكرا وإنكاره هو المنكر شرعا، فاتـهام نفسك أيها المنكِر ومحاسبتها أولى بك من تتبع عورات أخيك ووزن أعماله وعدّ خطواته، فالله جل جلاله يحاسبه ويحاسبك يوم يكون لكل امرئ شأن يغنيه. فهلا وسع للمعترضين السكوت وترك الانتقاد، إن فقدوا حسن الاعتقاد، والله الهادي إلى سواء السبيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك عملت سوء وظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

وكان الفراغ من هذه الرسالة بمدينة مقديشو في غرة شهر جمادى الآخرة سنة ألف وأربعمائة وواحد وعشرين من هجرة خير الخلق عليه أفضل الصلاة والسلام بيد جامعها الفقير إلى الله تعالى عثمان بن الشيخ عمر بن الشيخ داود .

المراجع والمصادر

١. الدر المنثور في التفسير بالمأثور .... للسيوطي
٢. مفاتيح الغيب .... لفخر الدين الرازي
٣. البحر المحيط............................... لأبي حيان النحوي
٤. روح البيان................................ لإسماعيل حقي البروسي
٥. الإتقان في علوم الدين .... للسيوطي
٦. فتح الباري .... لابن حجرج العسقلاني
٧. كنـــز العمال في سنن الأقوال والأفعال .... للعلامة علاء الدين الهندي
٨. الفتوحات الربانية على الأذكار النووية ..... لابن علان الصديقي
٩. الفيض القدير شرح الجامع الصغير .... للمناوي
١٠. السراج المنير شرح الجامع الصغير .... للعزيزي
١١. نسيم الرياض شرح الشفاء .... للخفاجي
١٢. الحاوي للفتاوي........................... للسيوطي
١٣. الدرر الكامنة .... لابن حجر العسقلاني
١٤. حلية الأولياء .... لأبي نعيم الإصبهاني
١٥. منهاج الطالبين .... للإمام النووي
١٦. تحفة المحتاج .... لابن حجر الهيتمي
١٧. مغني المحتاج .... للشربيني
١٨. المجموع .... للإمام النووي
١٩. حاشية على نـهاية المحتاج .... لعلي الشبراملسي
٢٠. جمع الجوامع .... لتاج الدين السبكي
٢١. شرح جمع الجوامع .... للمحلي
٢٢. قاموس المحيط .... للفيروزأباذي
٢٣. تاج العروس شرح القاموس .... لمرتضى الزبيدي
٢٤. لسان العرب .... لابن منظور

٢٥. مقاييس اللغة .... لأبي الحسن أحمد بن فاس
٢٦. معجم الوسيط ....
٢٧. الأسنى شرح أسماء الله الحسنى .... للقرطبي
٢٨. مقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى .... للغزالي
٢٩. شرح أسماء الله الحسنى .... للشيخ أحمد جواد
٣٠. لوامع البينات شرح أسماء الله الحسنى .... لفخر الدين الرازي
٣١. الدر النظم في الاسم الأعظم .... للسيوطي
٣٢. الإبريز من كلام سيدي عبد العزيزبن مسعود... ....
٣٣. المنن الكبرى .... للشعراني
٣٤. سعادة الدارين .... للنبهاني
٣٥. الأسماء والصفات .... للبيهقي
٣٦. مطالع المسرات شرح دلائل الخيرات .... للعلامة الفاسي
٣٧. الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية ....
٣٨. المنتقى النفيس في قطب دائرة التقديس ..... للشيخ صالح الجعفري
٣٩. تاريخ أدب العربي ....
٤٠. المغني .... لابن هشام
٤١. حاشية الخضري شرح ألفية ابن مالك ...... للخضري
٤٢. حاشية على شرح الزرقاني على البيقونية .... للعلامة عطية الأجهوري
٤٣. الجوهر المكنون .... للأخضري
٤٤. جمع الشتات .... للجلال السيوطي

فهرسة الكتاب